وزارة التعليـم العالـي والبحث العلمـي
المركز الجامعي سي الحواس- بريكة
معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية

مطبوعة بيداغوجية في مادة العلمي

مدخل إلى الأنثروبولوجيا

موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك علوم اجتماعية

الدكتورة : فني غنية

السنة الدراسية :2019- 2020

فهرس الموضوعات

المقدمة 04

1- مفهوم الأنثروبولوجيا 05

2- موضوع الأنثروبولوجيا 06

3- تاريخ الأنثروبولوجيا 08

تمهيد 08

3- 1- الحضارات القديمة 08

3- 2- اليونان والرومان 09

3- 3- الحضارة العربية الاسلامية 10

3- 4- العصر الوسيط 11

3- 5- عصر النهضة والتنوير 12

3- 6- القرن التاسع عشر والتوسع الاستعماري 13

4- فروع الأنثروبولوجيا 14

تمهيد 14

4- 1- الأنثروبولوجيا الفيزيقية 14

4- 2- الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية 17

5- علاقة علم الأنثروبولوجيا ببعض العلوم الأخرى 21

تمهيد 21

5- 1 - علاقة الأنثروبولوجيا بالفلسفة 21

5- 2- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس 22

5- 3 - علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الاجتماع 23

5- 4- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الآثار 25

5- 5- علاقة الأنثروبولوجيا بالجيولوجيا 26

المجلس العلمي

5- 6- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم السكان 27
5- 7- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الأحياء 28
5- 8- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الإحصاء 29
5- 9- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم اللغة..... 29
6- نظريات الأنثروبولوجيا 30
تمهيد 30
6- 1- النظرية التطورية 30
6-2- النظرية الانتشارية 33
6-3- النظرية البنائية الوظيفية 36
7- مناهج البحث الأنثروبولوجي 42
تمهيد 42
7- 1- المنهج التاريخي 42
7- 2- المنهج الوصفي 43
7- 3- المنهج المقارن 43
7- 4- المنهج البنائي الوظيفي 44
8- طرق وتقنيات وخطوات البحث الأنثروبولوجي 45
تمهيد..... 45
8-1- طرق وتقنيات البحث الأنثروبولوجي 46
8-2- خطوات البحث الأنثروبولوجي 51
9- الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل الاستقلال 51
الخاتمة 56
قائمة المراجع 57

المركز الجامعي سي الحواس بريكة
المجلس العلمي
معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية

مقدمة

تعتبر العلوم الإنسانية علوما جديدة مقارنة بالعلوم الطبيعية وهي آخر العلوم انفصالاعن الفلسفة ، وإذا كانت العلوم الطبيعية قد توصلت إلى نتائج واضحة وجلية ، فإن العلوم الإنسانية رغم تطبيقها للطرق والأساليب العلمية المختلفة لم تصل بعد لنفس مستوى الدقة والوضوح وذلك عائد إلى كون القضايا والمواضيع التي تدرسها هي مواضيع مركبة ومعقدة لها علاقة بالإنسان (خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار التنوع الاجتماعي والثقافي للجنس البشري) ، إضافة إلى صعوبة ضمان الموضوعية حينيكون الباحث في معظم الأحيانحكما وطرفا من الدراسة . كما تظهر لنا مشكلة أخرى على المستوى المنهجي وهي تحديد المفاهيم ، حيث من الصعب جدا إيجاد مفهوم جامع مانع حول أية ظاهرة في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

تعاني الأنثروبولوجيا صعوبات كثيرة شأنها شأن باقي العلوم الإنسانية الأخرى باعتبارها تخصصا علميا حديثا أثبت جدارته وسط العلوم ، وعلى الرغم من تطبيقاتها الميدانية وما توصلت إليه من نتائج فإنها لا تزال محاطة بكثير من الشكوك حول مدى علميتها وعدم وضوح مجالها وتداخلها مع تخصصات أخرى.

إن الإستعمال العلمي الأول للأنثروبولوجيا أعطاها معان وتعاريف متنوعة وخاصة في ظل إختلاف المدارس والنظريات . إذ أن أكثر ما عنته في المدرسة الأمريكية هي الأنثروبولوجيا الثقافية، أما في بريطانيا فتعرف من خلال أعمال مورغان ودوركايم أي الأنثروبولوجيا الاجتماعية، لأنه وحسب المدرسة الإنجليزية لا توجد حضارة (ثقافة) من دون مجتمع، كما لا يوجد مجتمع غير حامل لثقافة أو حضارة معينة. هذا الاختلاف في التسميات إنما يعبر فقط عن إختلاف في المدخل النظري ، لأننا لا نستطيع في أي حال من الأحوال أن نفصل بين الثقافة والمجتمع. من جهة أخرى فإن الأنثروبولوجيا في فرنسا ظلت إلى غاية الستينيات تعني الأنثروبولوجيا الفيزيقية، لكن مع الوقت وبعولمة المصطلحات العلمية تم وضع تقسيم يضم الأنثروبولوجيا الفيزيقية والأنثروبولوجيا الثقافية والأنثروبولوجيا الاجتماعية .

ومن خلال هذه المحاضرات التي سيتم استعراضها إن شاء الله ستتكشف الرؤية أكثر حول العديد من المسائل حول الأنثروبولوجيا والتي سنتمكن من الإحاطة بها حسب ما هو وارد في فهرس الموضوعات .

1 – مفهوم الأنثروبولوجيا :

كلمة **الأنثروبولوجيا** هي تعريب للمصطلح الإنجليزي Anthropology والمصطلح الفرنسي Anthropologie وهي اصطلاح علمي مركب من كلمتين ذات أصل يوناني Anthropos وتعني إنسان وLogos وتعني علم أو دراسة ، وبهذا فالانثروبولوجيا تعني علم الإنسان (science de l' homme) .

تواجه كل العلوم الإنسانية مشكلة تتعلق بتحديد المفاهيم ومن ثم إعطاء التعريف الموحد والجامع المانع وكذلك الشأن بالنسبة لمصطلح الأنثروبولوجيا .

الأنثروبولوجيا " هي العلم الذي يبحث في طبيعة الإنسان وجوهره وفي الأصول والتطور الثقافي والمادي والسمات العرقية والعادات الاجتماعية ومعتقدات الإنسان ". [1]

وتعرف أيضا بأنها " هي علم من العلوم الإنسانية يهتم بمعرفة الإنسان معرفة كلية وشاملة ". [2]

والأنثروبولوجيا أيضا هي " علم من العلوم الإنسانية يهتم بدراسة الإنسان من حيث قيمه (قيم جمالية ، دينية، أخلاقية ، اقتصادية ، ثقافية واجتماعية ومكتسباته الثقافية " . [3]

ويعتبر كلود ليفي ستروس أن " الأنثروبولوجيا تهدف إلى معرفة كلية وشمولية للإنسان في علاقته بامتداداته التاريخية ومحيطه الجغرافي " . [4]

ويعرفها Michael Wesch بأنها" الدراسة لكل الإنسانية في كل الأزمنة والأمكنة ".[5]
وهناك تعاريف أخرى للأنثروبولوجيا على أنها :

- " هي علم الإنسان من حيث هو كائن فيزيقي واجتماعي " .
- " هي دراسة الإنسان وإنجازاته " .

---

[1] محمود سلمان العميان ، السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال ، دار وائل ، عمان ، ط 1 ، 2002 ، ص 27 .

[2] مصطفى تيلوين ، مدخل عام في الأنثروبولوجيا ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2011 ، ص 19.

[3] مصطفى تيلوين ، مرجع سابق ، ص 20 .

[4] مصطفى تيلوين ، المرجع نفسه ،ص ص 21–22.

[5]Michael Wesch ,The Art of Being Human ,Manhattan, , New Prairie Press, Kansas State University Libraries Kansas, First Edition , 2018 ,p 10 .

- " هي علم الحضارات أو العلم الذي يدرس مختلف جوانب حياة المجتمعات البشرية " .
- " علم التنوع الثقافي والاجتماعي أو علم الإنسان في المجتمع " .
- " هي علم يهتم بكل أصناف وأعراق البشر في جميع الأوقات، وبكل الأبعاد الإنسانية " .

يتضح من هذه التعاريف أن الإنسان في الأنثروبولوجيا هو الإطار الوحيد الذي يحدد المواضيع التي يدرسها هذا العلم أما الزمان والمكان فلا يقيدانه. بمعنى أنها العلم الذي يدرس الإنسان، بنيته، أجداده، أصوله، سلوكه، أدواره، ممارساته الدينية، اللغوية، الجنسية والثقافية، وعلاقاته الأسرية والإجتماعية منذ أقدم العصور إلى الآن وفي مختلف أنحاء العالم.

2- موضوع الأنثروبولوجيا :

تمهيد

من حيث الموضوع فإننا من خلال استعراض الدراسات الأنثروبولوجية في ماضيها وحاضرها نجد أن رجال هذا العلم أجمعوا على أن موضوع هذا العلم هو دراسة الإنسان وأعماله ، أي كل منجزاته المادية والفكرية ، أي الدراسة الشاملة للإنسان من جميع النواحي المحيطة به سواء أكانت لها علاقة بالجانب الفيزيقي أو ما تعلق بالجانب الاجتماعي أو الثقافي .

إن الموضوع الرئيسي للأنثروبولوجيا يتمثل في تحقيق القوانين العامة لحياة الإنسان في المجتمع سواء عند الشعوب البدائية أو الشعوب الحديثة والمعاصرة ، وتختلف موضوعات الأنثروبولوجيا باختلاف المدارس والاتجاهات التي تنوعت واختلفت باختلاف المدارس والتيارات التي تمثلها .

وتشترك في دراسة الأنثروبولوجياختصاصات أخربكعلم السكان، اللغة، الاجتماع، النفس البيولوجيا، التاريخوغيرها حيث تعنى كل هذه العلوم بدراسة الإنسان من ناحية معينة، لكن ما يميز التحليل الأنثروبولوجي هو طريقة جمع المادة العلمية وأسلوب معالجتها ومناقشتها. حيث نستطيع القول أن الأنثروبولوجيا هي علم توفيقي يتمثل في معطيات علوم متمايزة ، ولهذا نقول أن الأنثروبولوجيا هي أكثر العلوم التي تدرس الإنسان وأعماله شمولا على الإطلاق .[1]

[1] محمد الجوهري وآخرون ، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا ، القاهرة ، 2007 ، ص 18.

وفي مجال التعريف بهذا الأسلوب المتميز للمعالجة الأنثروبولوجية يعتبر كروبير " أن علماء الأنثروبولوجيا لن يصلوا إلى معرفة العلاقات الاجتماعية في المجتمع الصيني الضخم أو المجتمع الامريكي أو المجتمع العربي كما يعرفها عالم الاجتماع ، وكذلك لن يصلوا إلى معرفة نظام الأسعار ونظام البنوك كما يعرفها عالم الاقتصاد ، كما أنه لن يفهم قوانين تلك الأمم المتمدينة بنفس الدقة التي يصل إليها رجال القانون، ولكنه يستطيع – وحده – أن يدرك الصورة ككل ويعرف الحقائق الأساسية لتلك العلوم من حيث أنماط السلوك المكتسبة في تلك القبيلة لكي يستطيع تحديد عناصر يستطيع أن يرسم صورة كلية شاملة لجميع مظاهر الحياة الاجتماعية في مجتمعات صغيرة الحجم مثل قبائل الشلوك أو الماساي أو الدنكا بالسودان ".[1] أي أن الأنثروبولوجي يستفيد من أبحاث علماء الاقتصاد، الاجتماع، القانون، الدين وغيرها للوصول إلى نظرة كلية شاملة لجماعة ، مجتمع أو ثقافة ما.

وإذا كانت أولى الدراسات الأنثروبولوجية قد اهتمت أساسا بالإنسان في الجماعات، المجتمعات أو الثقافات البدائية ، فإنها اليوم عمت كل المجتمعات البدائية منها وحتى المتحصرة، حيث أصبح التمدن، التصنيع، النزوح الريفي، مشاكل الهجرة، الصراعات العرقية، التربية وغير ذلك مواضيع تدخل في صلب الأنثروبولوجيا. وما دفع الأنثروبولوجيين لهذه الوجهة (أي الاهتمام بالمجتمعات والثقافات الحديثة) جاء نتيجة لما طرحته العولمة ومشكلة الحداثة La modernité حيث أن العالم أصبح قرية صغيرة وأكثر ترابطا.وبدل أن يؤدي الترابط العالمي إلى مزيد من التضامن الإنساني أصبحت النزاعات العرقية والطائفية والدينية وغيرها تزيد من انقسام البشر وتمايزهم.

وعليه تسعىالأنثروبولوجيا إلى أن تجعل من الإنسان ومن كل الأبعاد التي تحيط بحياته ميدانا لمعرفة فعلية، إيجابية، دون أحكام. أي فهم الإنسان بتنوعه (الثقافي والبيولوجي) في مختلف الأماكن والأزمنة وهذا باعتماد العمل على أرض الواقعمن خلال الاحتكاك بالشعوب المدروسة، معايشتهم وبالملاحظة المباشرة للسلوكات، التفاعلات، المعتقدات الطقوس، العادات... في جماعة أو مجتمع إنساني معين.

ويجب أن نعرف أن علم الإنسان يتميز بالنظرة الكلية الشاملة أي المنهج الكلي التكاملي الذي يهدف إلى تحديد جميع عناصر الثقافة المادية واللامادية وإلى دراسة النظم الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية والقانونية في مجتمع ما .

[1] عاطف وصفي ، الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، دون سنة نشر ، ص 12.

وعموما نستطيع القول أن أحسن طريقة لتحديد معنى الأنثروبولوجيا هي معرفة مواضيعها ومنهجها دون أن نهمل حقيقة أن الأنثروبولوجيا ميدان بحث متعدد الأبعاد والثقافات وأن الباحث الأنثروبولوجي يشارك في اهتماماته المختصين في العلوم الإنسانية والبيولوجية إلى جانب تخصصات أخرى عديدة .

3 – تاريخ الأنثروبولوجيا :

تمهيد

إن الحديث عن الإنسان والمجتمعات قديم قدم الإنسان ، حيث درج المفكرون والفلاسفة في كل زمان ومكان على وضع تصورات ونظريات حول طبيعة المجتمع البشري وكل ما يخصه من علاقات، سلالات، طبقات، لغات وغيرها وهذا ما يصعب من مهمة تعيين تاريخ محدد لبداية الأنثروبولوجيا ، لكننا سنحاول التعرف على تاريخ الأنثروبولوجيا من خلال التراث الفكري الإنساني .

3-1- الحضارات القديمة :

إن الحضارات الشرقية القديمة تشمل الصينيين والهنود والمصريين القدامى . ففي الصين يعد كونفوشيوس من أعظم المفكرين والمصلحين الدينيين ، وسادت ديانته التوحيدية الصين قرابة الخمسة والعشرين قرنا وما زالت ، وقد أكسبته أسفاره الكثيرة وفكره النافذ خبرة عظيمة وحكمة ، إذ يعتبر أن الأخلاق هي الأساس الأول الذي يجب أن تقوم عليه العلاقات الاجتماعية . فالتنشئة والتربية تجعل الناس في غير ما حاجة للقضاة والمصلحين.[1]اختلف المصريون عن سائر الشعوب في عاداتهم وسننهم ، وأما دارسوا الشخصية القاعدية المصرية فذكروا من ملاحها وخصائصها تعلقها بالأسرة ومنطقها الواقعي وصبرها ومسالمتها وعنايتها بالدعابة وحب النكتة واحترام الموت وعظمة الاستجابة للوعي الديني والمحافظة والقدرة على الاستيعاب الحضاري والتكامل القومي وعبادة السلطة . [2] وبعدها طور الفكر الاجتماعي المصري القديم النظام القانوني ، واهتموا بالنظم الدينية والسياسية والأخلاقية والأدبية . وقد كان هيرودوت من بين المعجبين بمصر وآثارها ومناخها.

---

[1] صلاح الدين شروخ ، مدخل في علم الاجتماع ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2005 ، ص 28 .

[2] صلاح الدين شروخ ، مرجع سابق ، ص ص 37 ، 38

3-2- اليونان والرومان :

يرى المفكر والفيلسوف اليوناني أفلاطون – بنظرة أنثروبولوجية مبكرة – أن المجتمع الطبيعي الأول الذي ينشده هو ذلك المجتمع الذي كان يتألف من عدة أسر مجتمعة معا بقصد إشباع حاجاتها الأولية من مأكل ومسكن وملبس ، ولكن سرعان ما تزايد الإنتاج وأصبح بفضل تقسيم العمل يؤدي إلى التخصص في المهن والحرف ، فينتقل المجتمع من البسيط إلى الأكثر تعقيدا ، وعندئذ يدب الإغلال والفساد ويصبح المجتمع غير طبيعي . وقد تبلورت آراء أفلاطون في بحوثه ومؤلفاته الأساسية التي تركها وهي كتب : الجمهورية ، والسياسة والقوانين ، وكلها تقدم رؤية ذات صلة بالدراسات الاجتماعية .

وفي تتبعه لتاريخ الأنثروبولوجيا يرجع هادون Haddon استخدام هذا المصطلح (أي الأنثروبولوجيا) للفيلسوف اليوناني أرسطو الذي استعمله للإشارة إلى الشخص الذي يتحدث عن نفسه ، ومن الواضح أن هذا المعنى يختلف تماما عن المعنى والاستخدام الحالي له.

إن أكثر مؤرخي هذا العلم يعيدون بداياته إلى المؤرخ اليوناني هيرودوت Hérodote (484-425 ق م) الذي يعرف بأب التاريخ، سافر كثيرا وعرف وعايش عدة شعوب، حيث يعد أول من قام بملاحظات واستطلاعات أنثروبولوجية بطريقة تشبه إلى حد ما الطرق الحديثة من خلال وصفه لعادات، تقاليد وطرق حياة مجموعات ثقافية مختلفة خاصة في آسيا الصغرى، شمال إفريقيا، مصر وليبيا والتي اشتملت على عديد من جوانب أنشطة الإنسان في المأثورات والحكم والتعاقدات الاقتصادية والأعراف ، ووضعه للعادات والمعتقدات والملابس والأسلحة الحربية وشعائر الدين وطرق الدفن وبناء المزارات وإقامة السكان في المدن وعلاقة الإنسان بالأراضي وإنتاجيتها والقوارب وأنواعها وغيرها من المظاهر الثقافية والاجتماعية . هذا وقد وضعت تلك الاهتمامات هيرودوت في زمرة الاثنولوجيين المبكرين لاسيما أنه كان ينتقي أقوال الاخباريين ويعمل على تلخيصها من العناصر الذاتية .[1]

وبنفس الطريقة حاول المؤرخ الروماني تاسيت Tacite (55-120 م) – الذي عمل بالسياسة ويشهد له في فن الخطابة وله عدة كتب إهتم فيها بوصف الشعوب، التاريخ وعلم النفس– وصف خصائص وعادات

[1] أحمد أبو زيد ، ميرفت العشماوي عثمان وفادية فؤاد حميدو ، اثنوجرافيا المجتمعات الافريقية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر، 2012 ، ص ص 10-11.

والتقسيم الجغرافي لشعوب ألمانيا في كتابه Germania وتتالت محاولات ومساهمات المفكرين الأوائل دون أن تصل إلى الدقة التي هي عليها الآن.

3-3- الحضارة العربية الاسلامية :

اعتنى الكثير من مفكري الإسلام بدراسة الحياة الاجتماعية في طبيعتها ونشأتها ووظائفها وحاولوا تفسير طبيعة المجتمع ونشأة التنظيم السياسي والاقتصادي والأسري واللغوي والفني ... الخ . ويعتمد المدخل الأنثروبولوجي أساسا على ما قام به الرحالة المسلمون من حكام ومشرعين وأئمة وقضاة وعلماء إلى البلاد الإسلامية وغير الإسلامية لنشر الدين الإسلامي . ومن خلال هذا قاموا بدراسات إثنوغرافية عديدة تتناول دراسة العادات والتقاليد والقيم والأعراف والتراث الشعبي وأنماط التنشئة الاجتماعية والثقافية وطبيعة النظم القانونية والسياسية والعائلية والأخلاقية والدينية بتلك المجتمعات . ويمكن أن نميز في هذا الإتجاه طائفتين :

- الطائفة الأولى : علماء ومستشارون سياسيون وثقافيون كان الخلفاء والحكام يبعثون بهم بصفة رسمية إلى بلاد محددة ليقوموا بدراسة عملية للإستفادة منها في المجال السياسي وممارسة السلطة .

- الطائفة الثانية : مؤرخون ورحالة ممن ساهموا في كتابة التاريخ وسرد أخبار الشعوب الأخرى . ومن هؤلاء الباحثين " ابن جبير " في رحلاته العديدة من الأندلس إلى الشرق و " ابن بطوطة "(1304-1377) وهو رحالة وكاتب بربري الأصل، ولد بطنجة، زار العديد من المناطق كالعراق، إيران، السعودية، البحر الأحمر، اليمن،مصر، سوريا، آسيا الصغرى، جنوب روسيا، الهند، الصين، أندونيسيا والصحراء حتى النيجر.

وبالإضافة إلى " الآلوسي " الذي درس ثقافة العرب في الجاهلية وبعدها وأشار إلى أثر الإسلام في التغير الاجتماعي . وقد تضمنت دراسات الآلوسي الحديث عن بعض العادات التي انتشرت في بلاد العرب وقضى عليها الإسلام كالوأد وبعض أشكال الزواج وأنواع العلوم التي عرفها العرب في الجاهلية كعلم القيافة (تتبع الأثر) علم الزجر والعيافة (الاستدلال بأصوات الحيوانات وحركاتها على الحوادث واستعلام الغائب وعلم الفراسة .

أما " البيروني " الذي فاض في وصف وتحليل وعرض عادات وطقوس وأعراف وقيم وعادات الهنود في كتابه الشهير " تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة للعقل أو مرذولة " حيث أقام بين أهل الهند عشرات السنين وتعلم لغاتهم وتفاعل معهم واطلع على كتبهم وتعرف على دينهم وعلى تفاصيل حياتهم ووقف على أسرارهم وتمثل حضارتهم ، ضف إلى ذلك أنه كان على معرفة جيدة وبصفة غير مباشرة بعادات المجتمع الهندي عن طريق الكتب .

وقد ربط البيروني في معالجته للسنن الاجتماعية في الهند بالربط بينها وبين البناء الاجتماعي ولاحظ أن كل القواعد التي تنظم الحياة الاجتماعية التي عاصرها في الهند كانت صادرة عن الدين ، وهذه الحقيقة أكدها المعاصرون أيضا فالدين هو القاعدة الأساسية التي كان يقوم عليها النشاط الاجتماعي في الهند . [1]

ويعد العلامة العربي " ابن خلدون " 1332-1406 م والذي ولد في تونس ودرس على يد أبيه وأشياخه في تونس وفاس وتلمسان وبسكرة وبجاية وقسنطينة ومصر والحجاز والقدس ودمشق ونزح إلى الأندلس ، عمل بالتدريس والقضاء وتقلد مناصب سياسية .قدم ابن خلدون في كتابه " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " والمعروف بـ " المقدمة " مجمل آرائه الاجتماعية والفلسفية وكان له السبق في إنشاء علم الاجتماع . [2] وذلك من خلال تحليلاته للبناء الاجتماعي لقبائل البدو الصحراوية التي خبر ناسها وعاش حياتها وحلل قيمها وأعرافها وعاداتها تحليلا أنثروبولوجيا قبل أن يعرف اصطلاح الأنثروبولوجيا في الفكر الحديث .

والجدير بالذكر أن هناك العديد من العلماء العرب والمسلمين ممن كان لهم الأثر في الفكر السوسيولوجي الإسلامي من خلال كتاباتهم الاثنوغرافية الأصيلة التي اعتمدت على ما يطلق عليه الأنثروبولوجيون المحدثون الدراسة الحقلية او المعايشة الميدانية للنموذج المجتمعي موضوع الدراسة .

كما لا يمكن للباحثين إغفال المجهودات التي قام بها العلماء المسلمين في إثراء التراث العالمي بالدراسات الاثنوغرافية في المجتمع الإسلامي من خلال وصف وتحليل أنماط الثقافة الإسلامية . وقد دعا بذلك المفكر الأمريكي المعاصر " كارتلون كون " G . S.Conn حين تقدم بتوصية خاصة في مؤتمر برنستون للثقافة الإسلامية والذي عقد في صيف 1953 يدعو فيها إلى إنشاء فرع خاص للأنثروبولوجيا يسمى " أنثروبولوجيا العرب " من شأنها الإسهام في التعريف بالثقافة العربية الإسلامية وبالدعوة للإسلام على أسس علمية وسليمة . [3]

3- 4- العصر الوسيط :

يمتد هذا العصر من القرن الرابع إلى القرن الرابع عشر ميلادي وارتبط بتدهور الحضارة الأوروبية ، ظهرت في هذه المرحلة محاولات عدة للكتابة عن بعض الشعوب إلا أنها اتسمت في الغالب بالوصف التخيلي بعيدة عن المشاهدة المباشرة على أرض الواقع . مثال ذلك ما قام به الأسقف إسيدور حين أشار إلى

---

[1] مصطفى عمر حمادة ، دراسات أنثروبولوجية في المجتمع والثقافة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2012 ، ص58.

[2]. صلاح الدين شروخ ، مرجع سابق ،ص 72

[3]. مصطفى عمر حماده ، دراسات أنثروبولوجية في المجتمع والثقافة ، مرجع سابق ، ص ص54-55

بعض تقاليد الشعوب المجاورة وعاداتهم لكن بطريقة وصفية عفوية تتسم بالسطحية والتحيز . ومما ذكره أن قرب الشعوب عن أوروبا أو بعدها عنها يحدد درجة تقدمها ، فكلما كانت المسافة بعيدة كان الانحطاط والتدهور الحضاري مؤكدا لتلك الشعوب ، كما وصف إسيدور الناس الذين يعيشون في مناطق نائية بأنهم من سلالات غريبة .

وقد ظلت تلك المعلومات سائدة حتى القرن الثالث عشر ميلادي حيث ظهرت موسوعة أخرى أعدها الفرنسي باتولو ماكوس والتي حظيت بشعبية كبيرة على الرغم من أنها لم تختلف عن سابقتها في الاعتماد عن الخيال .

3-5- عصر النهضة والأنوار:

يتفق المؤرخون على أن عصر النهضة في أوروبا بدأ من نهاية القرن الرابع عشر ميلادي ، حيث شرع الأوروبيون بدراسة المعارف الإغريقية والعربية مترافقة مع الاستكشافات الجغرافية ، وتبع ذلك الانتقال من المنهج الفلسفي إلى المنهج العلمي في دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية خلال القرن السابع عشر للميلاد.

ساهم العديد من الرحالة في وصف ورصد أخبار الجماعات، الأمم والشعوب المختلفة أمثال كريستوف كولومبس (1451-1506) وهو رحالة إسباني من أصل إيطالي أول أوروبي قطع المحيط الأطلسي بهدف الوصول إلى الهند لكنه وصل لأمريكا وهو المنسوب إليه اكتشاف العالم الجديد (أمريكا). كما ساهم فاسكو دو قاما Vasco de Gama(1469-1524) وهو رحالة ومستكشف برتغالي أول من قام برحلة بحرية من البرتغال إلى الهند مرورا بقارة إفريقيا.

وظهر إصطلاح الأنثروبولوجيا عام 1501 كعنوان لكتاب للمفكر هاندت hundt الذي تكلم فيه عن خصائص الإنسان من الناحية التشريحية ، وظهرهذا الاصطلاح أيضا في كتاب « l'anthropologia » للمفكر copella في عام 1533 ، يدرس هذا الكتاب الصفات الشخصية الفردية. وظهر اصطلاح "أنثروبواوجيا " لأول مرة في اللغة الانجليزية في عام 1655 في كتاب غير معروف مؤلفه وعنوانه "anthropologyabstracted"وموضوعه الطبيعة البشرية. [1]

[1] عاطف وصفي ، مرجع سابق ، ص 9.

يرى علماء الإنسانيات أن الرحالة ورجال الدين والمفكرين الأوائل هم السباقون لإيجاد علم الإنسان ، إلا أن البدايات العلمية التي أدت حقيقة لنشأة علمالإنسان هي ثمرة عصر النهضة والتنوير وبالضبط في القرن الثامن عشر، وهو العصر الذي بدأت فيه محاولة الأوربيين لدراسة الإنسان وسلوكه بشكل نظامي يخضع لقواعـــد وأنظمة محددة أدت إلــى ظهور النظريات الأولى فيما يخص تطور الحضارة الإنسانيـة (خاصة في ظل حركة الإستعمار والاكتشافات الجديدة).

هناك العديد من مفكري القرن الثامن عشر ممن كان لهم دور في إظهار بعض العناصر المكونة للأنثروبولوجيا من خلال آراء مونتسكيو في المجتمع وأسسه وطبيعته في كتابه الشهير" روح القوانين " ، وكتابات سان سيمون وتأكيده وجود علم للمجتمع وآراء ديفيد هيوم وآدم سميث ونظرتهما إلى المجتمعات باعتبارها تتكون من أنساق طبيعية واعتقادهما بالتطور اللامحدود وبوجود قوانين لهذا التطور. كل تلك التأملات والآراء حوت بلا شك بذرات مفيدة لعلم الإنسان .

إن المعطيات التي جمعها الباحثين حاولت أن تجيب عن الكثير من الأسئلة حول الإنسان، حياة الشعوب البدائية وتطورها عبر الزمان والمكان ، السيرورة من الإنسان البدائي إلى الإنسان المتحضر، معنى ومفهوم الثقافة واختلافها وكيفية تطورها...الخ. هذه المعطيات جعلت الكثير من الدراسات تهتم بالإنسان سواء في جانبه الطبيعي أو الثقافي والاجتماعي للإجابة على هذه الأسئلة.

3-6- القرن التاسع عشر والتوسع الاستعماري :

يرى الباحثون أن القرن التاسع عشر ميلادي هو التاريخ الفعلي لتأسيس علم الإنسان ، حيث بدأت الكتب القديمة في الأنثروبولوجيا بالظهور في أوروبا وأمريكا ، وكان أبرز تلك الكتب كتاب هنري ميـــن "القانون القديم " عام 1861 وكتابه عن المجتمعات القروية " في الشرق والغرب " عام 1861 وكتاب باخوفن عن " حق الأم " في عام 1861 وكتاب فوستل دوكولانج عن " المدينة القديمة " عام 1864 وكتاب ماكلينان عن " الزواج البدائي " عام 1865 .

ولم يمض القرن التاسع عشر حتى تم إعداد مخطط تطوري للجنس البشري ، فقد ساهم تطورعلوم الطب والبيولوجيا والتكنولوجيا في إرساء قواعد هذا العلم. كما أصبحت الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية في منتصف القرن التاسع عشر مجال بحث مستقل خاصة بعد أعمال الأمريكي لويس هنري مورغان على هنود شمال أمريكا أو ما يعرف بـ Les indiens iroquois باعتماد البحث الحقلي حيث وضع نظرية عامة حول التطور الثقافي. تلاه فيما بعد البريطاني ادوارد تايلورالذي قام ببناء قواعد الأنثروبولوجيا محددا إياها باعتبارها

علم الثقافة ويبدو هذا واضحا في كتابه " الثقافة البدائية " الذي ظهر عام 1871 وعرف فيه الثقافة على أنها " ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والقانون والأخلاق والعادات والعرف وكافة القدرات والأشياء الأخرى التي تؤدى من جانب الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع ".[1] وضع تايلور بدوره نظرية حول تطور الإنسان تعتمد على أصول الدين Lesorigines de la religion وهذا باستخدام الطريقة المقارنة في استغلال المعطيات الأثنوغرافية.

كما نجد مالينوفسكي البريطاني ذو الأصول البولونية الذي يعد من أوائل الأنثروبولوجيين الذي قاسموا طويلا حياة الشعوب التي درسهاخاصة شعوب جزر تروبرياند Trobriand الواقعة في المحيط الهادي.حيث تعلم لغتهم وتداول سلوكاتهم الاجتماعية صاحب النظرية الوظيفية في الأنثروبولوجيا . كما نجد أيضا صاحب النظرية البنائية الفرنسي كلود ليفي ستروس، هؤلاء وآخرون جعلوا في القرن الأخير من الأنثروبولوجيا علما قائما بذاته له نظرياته مدارسه وطرق البحث الخاصة به.

4 – فروع الأنثروبولوجيا:

تمهيد

اختلف تقسيم العلماء لفروع الأنثروبولوجيا ، فمنهم من يقسمها إلى ثلاث فروع: فيزيقية، ثقافية واجتماعية ومنهم من يقسمها إلى فيزيقية وثقافية ثم يقسم هذه الأخيرة إلى الأثنولوجيا ethnologie ، الأنثروبولوجيا الاجتماعية L'anthropologie sociale، علم الآثار Arcéologie، علم اللغويات Linguistiques، والنظرية الثقافية Theorie de la culture .

وبالرغم من وجوداختلاف في تقسيم العلماء لفروع الأنثروبولوجيا لكن أغلبهم اتفقوا على تقسيمها إلى فرعين ، أنثروبولوجية فيزيقية وأنثروبولوجية اجتماعية وثقافية .

4-1- الأنثروبولوجيا الفيزيقية :Anthropologie physique

وهي من أقدم فروع الأنثروبولوجياتدرس تطورالإنسان من الجانب البيولوجي والفيزيولوجي، وهي ترتبط أكثر بالعلوم الطبيعية التي ترصد التطور البيولوجي والفيزيولوجي للإنسان العاقل Honosapien وعلى المقارنات المورفولوجية والفيزيولوجية مع بعض الأنواع الحيوانية.

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، الثقافة ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 2006 ، ص 8 .

ويرجع تطور الأنثروبولوجيا الفيزيقية إلى القرن التاسع عشر خاصة بعد أن نشر داروين مؤلفه عن أصل الأنواع واستخدم مفهومي الإنتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح ، ويقصد بذلك أن البيئة تسهم في عملية التطور حينما تختار من بين الصفات الجسمية للإنسان الصفات التي تمكنه من التوافق والتكيف معها فتتدعم عنده هذه الصفات ، على حين تزول عنه تلك الصفات غير الملائمة ومن ثم يكتب البقاء للأصلح .

وترتبط الأنثروبولوجيا الفيزيقية أو الطبيعية بعلم آثار ما قبل التاريخ فيما يخص اكتشاف الحفريات والهياكل العظمية للإنسان والتي تساعد في تتبع تطور حضارة الإنسان القديم .

تتناول الدراسات الأنثروبولوجية الإنسان في كونه جزءا من الطبيعة التي تسود الكون ، ومن هذه الناحية تعنى الأنثروبولوجيا الفيزيقية بمقارنة الإنسان في نشأته وتطوره بالمجتمعات الحيوانية ، وتركز على تقسيم الجماعات الإنسانية إلى سلالات بشرية وبيان الأساس الفيزيقي الذي بني عليه ذلك التقسيم ودراسة البناء الجسمي للإنسان وبيان المقاييس المستخدمة في ذلك . كما تهتم بالتطور البيولوجي والتشريح المقارن للإنسان .

إن موضوع الأنثروبولوجيا الفيزيقية هو دراسة الإنسان بوصفه كائنا حيا تدرس ظهور الإنسان على الأرض كسلالة متميزة واكتسابه صفات خاصة كالقدرة على استعمال اليدين والقدرة على الكلام وكبر الدماغ، ثم تدرس تطوره حياتيا وانتشاره على الأرض وتدرس السلالات البشرية القديمة وصفاتها والعناصر البشرية المعاصرة وصفاتها وأوصافها الجسمية المختلفة وتوزيع تلك العناصر على قارات الأرض ، وتضع مقاييس وضوابط لتلك العناصر كطول القامة وشكل الجمجمة ولون الشعر وكثافته ولون العين وأشكالها ولون البشرة، وتدرس الوراثة وانتقال مميزات الجنس البشري من جيل لآخر. [1]

وقد بدأ علماء الأنثروبولوجيا الفيزيقية يوجهون اهتمامهم في السنوات الأخيرة إلى دراسة المورثات البيولوجية والتمايزات بين البشر ويقومون بدراساتهم اعتمادا على تحليل عينات الدم والسوائل الجسدية الأخرى ويبحثون في أفضل وسائل جمع وتخزين هذه المواد وفصائل الدم والمورثات أو الجينات .

وتبحث الأنثروبولوجيا أيضا في موضوع الزيادة في معدلات التوالد والتكاثر والتي ترتبط بعلم السكان وتقوم على مقاييس الأنثروبومترية وعلى التمايزات في معدلات النمو والخصائص والسمات المتصلة بالبشر من حيث الاختلاف في بنية الجسم فظهر علم العظام .

---

[1] شاكر مصطفى سليم ، مدخل إلى علم الإنسان ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1975 ، ص17.

ويعد علم العظام من أهم اهتمامات الأنثروبولوجيا لأنها تعد أجزاء رئيسية بالنسبة للحفريات ، كما أنها تحكي قصة التطور فالجمجمة توضح شكل الفرد وحجم المخ ، أما الهيكل العظمي فيحدد الشكل العام للجسم الإنساني . كماأنها تبحث في خصائص السكان وتتبع تطورهم والتفاعل بين البناء الجسمي والنواحي السلوكية والظروف البيئية والثقافية بصفة عامة . وعلى هذا النحو يعتقد علماء الأنثروبولوجيا أنه من الممكن عبور الفجوة التي تفصل بين معرفتنا بالنواحي البيولوجية للإنسان وبين حياته الاجتماعية والثقافية .[1]

ومن المجالات الحديثة والمعاصرة أيضا في الأنثروبولوجيا الفيزيقية الاهتمام بدراسة الرئيسيات أو الأوليات primatologie، وهي الحيوانات القريبة من الإنسان من خلال دراسة الخصائص الوراثية المشتركة بينهما وبين الإنسان وذلك من خلال عقد مقارنات بين الإنسان وغيره من الحيوانات الثديية الشبيهة به من أجل تحديد أوجه الاختلاف من الناحية التشريحية وأيضا تحديد أوجه التباين في السلوك ، إضافة إلى دراسة ديناميكية الجماعة وعاداتها الغذائية مثل babouins وChimpanzé و Gorilles .
كما يهتم هذا الفرع أيضا بدراسة طرق التواصلبالأصوات والحركات وكذا الحياة الجماعية لهذه الحيوانات، تكيف هذه الحيوانات مع بعض الظروف التجريبية وكيفية تغير سلوكها...الخ.

وتعمل الدراسات المقارنة في الأنثروبولوجيا البيولوجية من خلال دراسة الرئيسيات على إلقاء الضوء على أصول الحياة الاجتماعية عند الإنسان والبدايات الأولى للثقافة ، فالثقافة هي أبرز السمات المميزة للإنسان

(بمقارنته بالسعادين والقردة العليا) وإن كانت الدراسات الحديثة توضح أن الإنسان ليس منفردا حتى في هذه الناحية ، إذ نلمس عند الرئيسيات (وعند حيوانات أخرى أحيانا) نوعا من السلوك الثقافي الشديد البساطة. وتوضح الدراسات التي أجريت على سلوك الرئيسيات أن ثقافة الإنسان قد نمت وتطورت ببطء ولكنها أصبحت عند نقطة معينة من الأهمية بحيث أخذت تؤثر في اتجاه التطور البيولوجي البشري وسرعته.[2]

[1] نخبة من أساتذة قسم علم الاجتماع ، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، بدون سنة نشر ، ص 329 .

[2] محمد الجوهري وآخرون ، مرجع سابق ، ص 29.

كما تهتم الأنثروبولوجيا الحديثة والمعاصرة بتحديد أنماط النمو والفروق بين الرجل والمرأة ، وتحاول اكتشاف العلاقات بين الخصائص الجسمية والسلالية من جهة والصفات الذهنية ونوع السلوك من جهة أخرى وهو مالم يثبت بعد في نظرية علمية قاطعة . [1]

ومن الاهتمامات المعاصرة في مجال الأنثروبولوجيا الفيزيقية البحث في التكوين والبنية البشرية من خلال التفاعل المتبادل بين اهتمامات الأنثروبولوجيا الفيزيقية وبين علوم الطب والطب النفسي ، وتعد هذه الدراسات موغلة في القدم إذ ترجع إلى العهد اليوناني أين كانت لهم تصورات اتجاه الشخصية من خلال التقسيم الذي قدموه على أساس تصنيف الأمزجة وبنية الجسم ومن ثم ظهرت تصنيفات للشخصية.

4-2- الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية: Anthropologie sociale et culturelle

إن التعريف الكلاسيكي للأنثروبولوجيا الاجتماعية هي أنها دراسة مجموع البناء الاجتماعي لأي جماعة أو مجتمع ، أما الأنثروبولوجيا الثقافية فتدرس أصول المجتمعات والثقافات الإنسانية وتاريخها وتتبع نموها وتطورها ، كما تدرس بناء الثقافات البشرية وآدائها لوظائفها في كل مكان وزمان .ويمكن أن تكون دراسة الأنثروبولوجيا الثقافية ذات جانبين : الجانب الأول هو الدراسة المتزامنة أو في زمن واحد (أي دراسة المجتمعات والثقافات في نقطة معينة من تاريخها) ، والجانب الآخر هو الدراسة التتبعية (أو التاريخية) أي دراسة المجتمعات والثقافات عبر التاريخ . [2]

هذا النوع من الأنثروبولوجيا يدرس الإنسان فقط لأن أكثر ما يهتم به هو الثقافة والمجتمع وهاتان الأخيرتان تخصان الإنسان دون غيره من الكائنات ، لذا فهو يستدعيمن الباحثين أن يكونوا معظم الوقت في الميدان وسط الجماعات الإنسانية المختلفة التي تعمر الأرض. وقد سمح هذا النوع من الدراسات للباحثين بمعرفة مدى التنوع في أنماط حياة الإنسان خاصة وأنه في بداية القرن التاسع عشر كل الأنماط والثقافات غير الغربية لم تكن معروفة بالقدر الكافي أو مجهولة تماما.

نجد في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية الأبحاث التي تهتم بوصف التنظيم الاجتماعي، الدين، العادات، تحضير وإنتاج الأكل، اللباس، الطقوس والتقاليد، الثقافة، الموسيقى، اللغة واللهجات... هذه

---

[1] محمد عبده محجوب ، الانثروبولوجيا الاجتماعية . دراسات نظرية وتطبيقية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2006 ، ص ص 46-47.

[2] محمد الجوهري وآخرون ، مرجع سابق ، ص ص 35، 36.

الأبحاث تدخل في إطار ما يعرف بالاثنوغرافيا Ethnographie، والمعنى الحرفي لكلمة اثنوغرافيا هو " الكتابة عن الشعوب " ويشير هذا المصطلح أيضا إلى الدراسة الوصفية للمجتمعات البشرية . ومن أكثر التعريفات شيوعا هو ما قدمه لنا Peter Hammond في كتابه Culture and » SosialAnthropology « وهي " الوصف الموضوعي المباشر لثقافة ما ، فالاصطلاح يعني وصف لحياة شعب أو جماعة ما . وتعنى الاثنوغرافيا أيضا بدراسة المظاهر المادية والثقافية للجماعة في مختلف الأمكنة والأزمنة والتي تبرز نتاج جهد الإنسان للسيطرة على بيئته الطبيعية ومحاولة استغلال مواردها في سبيل قضاء حاجاته الأولية والضرورية والاجتماعية . [1]وتضع الاثنوغرافيا الوصف كهدف أساسي لها ، وتتعداها الاثنولوجيا لتحليل ما تم وصفه ومحاولة معرفة العلاقة بين مختلف النظم والأنساق الاجتماعية والثقافية .

والإثنولوجيا تدعى أيضا علم الإنسان الثقافي أو الاجتماعي لدى البعض، وهناك من يجمعهما أي علم الإنسان الثقافي الاجتماعي. المجالات التي درست في هذا الفرع تتضمن وصف شبكة العلاقات الاجتماعية، الانتشار البشري، السلوك الاجتماعي، القرابات الاجتماعية، القانون، السياسة، العقيدة، الدين، الإعتقادات، الأنماط في الإنتاج والاستهلاك، التبادل، التربية، الجنس، وممارسات الشعوب في الثقافات الأخرى.

وتهتم الاثنولوجيا في جوانبها النظرية (في مقابل جوانبها الوصفية البحتة) أكبر الاهتمام بمشكلة تفسير أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين الثقافات الإنسانية . وقد يتناول الباحث تلك المشكلة تدريجيا فيحاول أن يتلمس في تاريخ شعب معين – وخاصة في اتصاله أو عدم اتصاله بشعوب اخرى – أسباب أوجه الشبه والاختلاف ، وقد يعمد إلى المقارنة المنهجية المنظمة بين الثقافات ليتوصل إلى تحديد بناء تلك الثقافات وكيفية أدائها وظائفها. [2]

ونظرا للتزايد المستمر والدائم لمواضيع الدراسة في الاثنولوجيا وتطور طرق حياة الشعوب عبر العالم فإن التفكير والرؤية الاثنولوجية تتطور وتتنظم من يوم لآخر. كما أن تداخل العلوم المتزايد سمح بتطور رؤية الاثنولوجيا وتقنيات ووسائل البحث والتحقيق الاثنولوجي.وعموما تهتم الأنثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية بدراسة مجموعة هائلة من المواضيع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

– التنظيم الأسري والاجتماعي :Organisation familiale et sociale

[1] أحمد أبو زيد ، مرفت العشماوي ، فادية فؤاد حميدو ، مرجع سابق ، ص ص 9–10 .

[2] محمد الجوهري وآخرون ، مرجع سابق ، ص 39 .

من بين أهم المواضيع التي تهتم بها الأنثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية التنظيمات الأسرية والاجتماعية وهذا من خلال دراسة : النسق القرابي، نظم الزواج، الميراث، التنظيم الاجتماعي...الخ. ومن بين ما تم التوصل إليه في هذا المجال هو أن العلاقات الأسرية هي قلب التنظيمات الاجتماعية في كل مجتمع. إذ تبنى أهم الجماعات الإنسانية في معظم المجتمعات على أساس القبيلةوالسلالة أو النسب، فحين يكون الإنتماء لجماعة الأقارب مبنياعلى أصول الأب فقط نتحدث عن نسق أو نظام أبوي (أبوسي، بطريكي) Système patriarcal . أما حين يكون مبنيا على أصول الأم فيعرف بالنسق الأمومي (الأموسي) Matriarcalوهو ما يعد في العالم الحالي جد قليل مقارنة بالنسق الأول. وتجدر الإشارة إلى أن هيرودوت كان أول من وصف هذا النوع من التنظيمعند بعض قبائل آسيا الصغرى.

كما يوجد التنظيم الثنائي organisation parentale bilatéraleوالذي يبنى فيها المجتمع على أصول الأم والأب ويوجد في المجتمعات التي تعتمد على الصيد والقطف مثلا قبائل les inuits في الإسكيمو وبعض قبائل إفريقيا وبعض المجتمعات الأوربية الحالية.

أما الأشكال البسيطة للأسرة فهي متنوعة عبر تاريخ البشرية فهناك نظام الزواج الواحد " وحدانية الزوج والزوجة " Monogamy والذي ميز المجتمعات البدائية والمتمدنة كذلك ، أما الأشكال المركبة للأسرة فتنقسم إلى قسمين أساسيين " الأسرة متعددة الزوجات والأزواج " Polygamous Family و" الأسرة الممتدة " Extented Family . ففي حالة وجود زوج مشترك بين أكثر من زوجة يعرف ذلك الشكل المركب باصطلاح " الأسرة متعددة متعددة الزوجات " Polygynous Family ، وفي شكل آخر توجد زوجة واحدة مشتركة بين أكثر من زوج وتعرف بـ "الأسرة متعددة الأزواج" PolyandrousFamily. [1]

والحري بالذكر أن هناك بعض الجماعات الثقافية يبنى فيها التنظيم الاجتماعي القرابي على أساس معتقدات وطقوس دينية وكذا تقسيم الأدوار والعمل وذلك عند بعض الهنود الأمريكان كقبائل hopi, zuni

- تطور الأنساق الدينية :Développement des systèmes religieux

تعنى الأنثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية بدراسة الديانات والمعتقدات، أصولها، طقوسها وتأثيراتها في علاقات الأفراد والتنظيمات الاجتماعية ، فالدين موجود في كل مجتمع إنساني .وقد لوحظ أن الديانات السماوية الكبرى نزلت في مجتمعات متمدنة إلى حد ما ، لكن المجتمعات البدائية نظرا لعزلتها الاجتماعية

[1] عاطف وصفي ، مرجع سابق ، ص ص 98- 99 .

والمكانية عادة ما تكون متمسكة بعقائد وعادات وطقوس متوارثة عبر الأجيال.
لقد حاول الكثير من الباحثين البحث عن أكثر صور الدين أولية ، فانتهى سبنسر وتايلور إلى أن الأنيميزم Animism أو عبادة الأرواح في المجتمعات البدائية هي الصورة الأولية للدين ، أما ماكس مولر Max muller (1823– 1900) فقد ذهب إلى أن صورته الأولية تتمثل في الطبيعة أو عبادة قوى الطبيعة .

غير أن دوركايم رفض هذه النظريات لأنها – في نظره – لم تستطع أن تميز بين ما هو مقدس وما هو علماني والذي يمثل عنده نقطة بداية حقيقية في دراسة الدين . ولقد أدى ذلك دوركايم إلى يأخذ التوتمية كما تسود في قبيلة " الأونتا " باعتبارها أكثر صور الدين بساطة . وتشير التوتمية إلى اعتقاد داخلي في قوة غيبية (أو مقدسة) أو في مبدأ يحدد مجموعة من الجزاءات ، يتعين تطبيقها على كل من يحاول انتهاك المحرمات . ويخلص دوركايم إلى أن الوظيفة الأساسية للدين تتمثل في تحقيق التضامن الاجتماعي وتدعيمه والمحافظة عليه ، بل إنه يؤكد فوق ذلك كله أن الدين سوف يبقى طالما تحقق للمجتمع بقاؤه واستمراره ، بالاضافة إلى الوظائف النفسية والاقتصادية . [1]

– تطور التنظيمات السياسية والاقتصادية :L'évolution politico–economique

المقصود بالنظم الاقتصادية هي مجموع الأساليب المستخدمة في إشباع حاجات الإنسان المادية والتي تجمع عادة بين الموارد والأدوات والعمل الإنسان. ويرى العلماء أن الأنساق الاقتصادية والاجتماعية المركبة لم تظهر إلا بظهور مصدر غذاء مستمر وثابت سمح بالتمدن في المجتمعات البشرية. لهذا فاكتشاف الزراعة وتربية الحيوانات يعد بمثابة تغير ثقافي جد مهم في حياة الكائن البشري، وهو يتوافق مع ما يعرف بالعبور النيوليتيكي الذي بدأ حسب آخر الإكتشافات الأركيولوجية في الشرق الأوسط وآسيا الشرقية منذزهاء إثني عشر ألف سنة. وبزيادة الشعوب والتمدن تطورت التنظيمات السوسيوسياسية وهذا بربط الجماعات المحلية ببعضها ، حيث أدت زيادة الكثافة السكانية ومصادر الغذاء إلى نشأة التنظيمات السياسية المركزية بقواتها العسكرية والاقتصادية والتجارية ومن ثم ظهور الدول والأمم الحالية .

[1] نيقولا تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها ، ترجمة : محمود عودة ومحمد الجوهري ومحمد علي محمد والسيد محمد الحسيني ، دار المعارف ، مصر ، ط 6 ، 1980 ، ص ص 177، 179.

وتهتم الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية كذلك بموضوع الثقافة عبر الزمان والمكان وبالعناصر والمركبات المادية لهذه الثقافات (مأكل، ملبس، أسلحة...) وبالتغير الثقافي وبالقطاع الفكري والرمزي لمختلف الثقافات من خلال اهتمامها باللغة، الأدب ، اللعب، الفن، الأساطير، الطقوس...الخ.

وبتطور العلوم والتقنيات التكنولوجية الحديثة وبتداخل العلوم أصبح للأنثروبولوجيا اليوم اختصاصات عديدة تضاعفت بتضاعف العلوموالتكنولوجيات وكذا الحاجات الإنسانية. فنجد مثلاأنثروبولوجيا الصحة، أنثروبولوجيا الإجرام، أنثروبولوجيا الاتصال، أنثروبولوجيا القانون، الأنثروبولوجيا السياسية، الأنثروبولوجيا الاقتصادية، التطبيقية، الحضارية...الخ.

5- علاقة الأنثروبولوجيا ببعض العلوم الأخرى:

تمهيد

إن الوصول لتحقيق هدف الأنثروبولوجيا الرئيس والمتمثل في فهم الإنسان- هذا الكائن المركب والمعقد - من جميع نواحيهفي كل زمان ومكان ، يعتمد على الاستفادة من نتائج العلوم الإنسانية والطبيعية التي تختص في دراسة الإنسان في جانب معين . وعليه فإن علم الإنسان من العلوم التوفيقية التي لها علاقة بالكثير من العلوم الأخرى كالجيولوجيا، الجغرافيا، الفلسفة، الاقتصاد، التاريخ، علوم التربية، السياسة، الاتصال، الطب، الموسيقى...الخ. وسنتطرق فيما يلي لعلاقة الأنثروبولوجيا ببعض هذه العلوم .

5-1- علاقة الأنثروبولوجيا بالفلسفة :

تعود كلمة فلسفة إلى الأصل اليوناني المكون من شقينphilo وsophy وتعني حب الحكمة ، واتخذت عند أرسطو معنى أكثر دقة وشمولا حيث عرفها بأنها " علم المبادىء والأسباب الأولى غايتها البحث عن الحقيقة برمتها وبأكثر أساليب الفكر نظاما وتماسكا . أي أنها علم الوجود بما هو موجود أو الفكر في جوهر وجوده ولا يمكن بلوغ هذه الغاية إلا بإحكام دقيق للفكر أي بمنهج يستند الى مبادىء العقل " . [1]

وإذا كانت الفلسفة أم العلوم كما كانت تسمى بالنظر إلى شمولية دراستها مجموعة من العلوم الرياضية والإنسانية والفيزيائية ، فإن صلة الأنثروبولوجيا بها وثيقة جدا ولاسيما في ما يتعلق بنظرة الإنسان إلى الكون والحياة في زمان أو مكان محدد ، وذلك لأن الزمان والمكان مرتبطان بعلاقة جدلية لا يمكن إدراك مكوناتها

[1] الجيوشي فاطمة ، فلسفة التربية ، جامعة دمشق ، سوريا ، 1987 ، ص 3.

إلا من خلال دراسة الفعل الإنساني الذي يسعى إلى البقاء والاستمرار . فدراسة أصل الإنسان ونشأته وحياته وسعيه إلى البقاء والخلود ، وما ينجم عن ذلك من تطور وتغير مستمرين كلها تقع في ميدان الدراسات الأنثروبولوجية ولاسيما تلك العلاقة الأولية بين طبيعة الإنسان وواقعه وما يطمح إليه من أهداف تؤمن سيرورة حياته .

إذا كانت الفلسفة كما يرى أرسطو هي علم المبادىء والأسباب الأولى غايتها البحث عن الحقيقة برمتها وبأكثر أساليب الفكر نظاما وتماسكا فإنها بهذا تشترك مع الأنثروبولوجيا في عملية البحث عن الحقيقة ، وإن كانت وسيلة الوصول إلى الحقيقة في الفلسفة تختلف عنها في الأنثروبولوجيا ، ذلك أن البحث الأنثروبولوجي يرمي إلى الوصول إلى حقائق ميدانية من خلال معايشة مجتمعات الدراسة أو الاعتماد على معلومات توفرها مصادر أخرى عكس الفلسفة التي تعتمد العقل ، كما أن نظرة الإنسان إلى الكون والحياة والموت وتأملاته المختلفة في مختلف الأزمنة والأمكنة هو أحد الموضوعات العامة للأنثروبولوجيا التي ترمي إلى الكشف على مختلف أنماط التفكير والسلوك لدى الجماعات البشرية عبر الزمان والمكان . [1]

2-5- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس :

علم النفس هو" العلم الذي يدرس السلوك باعتباره استجابة من جانب الإنسان للمثيرات الفيزيقية والمثيرات الاجتماعية التي يتعرض لها في بيئته وذلك بهدف تحقيق توافقه في هذه البيئة ". [2]

ويعرف أيضا بأنه " العلم الذي يدرس النشاط الحياتي للإنسان والذي يتضمن كلا العمليات العقلية وحالات وسمات الشخصية والاتصال والسلوك ، وتقوم النفس بوظائف انعكاسية وتنظيمية للسلوك ". [3] ولعل أحسن وصف لعلم النفس هو ما وصفه به ماير (meyer ;1979) "علم النفس هو علم كل من السلوك والتجربة".[4]

ووصلت الصلة بين علم النفس والأنثروبولوجيا حد بروز علم يضمهما معا هو الأنثروبولوجيا السيكولوجية ، ويتضمن هذا الفرع دراسة علاقة الفرد بالثقافة والمجتمع فهو يدرس سلوك الإنسان في الجماعة بشكل عام . أما علم النفس فيركز على الفرد بشكل خاص ، هذا ويوجه الاهتمام في الأنثروبولوجيا

---

[1] مصطفى تيلوين ، مرجع سابق ، ص 64 .

[2] علاء الدين أحمد كفافي وآخرون ، مقدمة في علم النفس ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2009 ، ص 16 .

[3] علاء الدين أحمد كفافي واخرون ، مرجع سابق ، ص 19.

[4] مصطفى عشوي ، مدخل الى علم النفس المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط 2 ، دون سنة نشر ، ص 31.

النفسية بدراسة الشخصية والتغير الثقافي والدراسة المقارنة للتغير المرتبط بالنمو على امتداد دورة حياة الفرد ودراسة مفهوم الهوية ... إلخ . [1]

وقد زاد الاهتمام بالتداخل بين الأنثروبولوجيا وعلم النفس خاصة من خلال أعمال مرغاريت ميد Margaret Mead وروث بندكت Benedict ruthfulton 1887-1948 وغيرهما عن مجموعة من المفاهيم التي لطالما اعتبرت عالمية لكنه وجد أنها قد تختلف باختلاف الثقافات البشرية كمفهوم المراهقة مثلا في أعمال مرغاريت ميد. وهذا ما ينفي النظرة التقليدية في علم النفس والتي تقول بمبدأ الوحدة النفسية للكائن البشري.

وإذا كانت الأنثروبولوجيا تدرس الإنسان من حيث تطوره وسلوكاته وأنماط حياته ، فإن علم النفس يشارك الأنثروبولوجيا في دراستها للسلوك الإنساني ، لكن ضمن الإطار الثقافي والاجتماعي والحضاري الذي ينتمي إليه ويعيش فيه إلى جانب أنه يدرس تأثير البيئة على سلوك الأفراد ، إذ نجد أن سلوك الأفراد بالبادية يختلف كثيرا عن سلوك الأفراد بالمناطق الحضرية . ولكن الاختلاف بينهما هو أن علم النفس يركز على سلوك الإنسان الفرد أما الأنثروبولوجيا فتركز على السلوك الإنساني بشكل عام ، كما تدرس السلوك الجماعي النابع من تراث الجماعة . [2]

وتنصب الدراسة في علم النفس الاجتماعي على المحاكاة والتقليد والميول الاجتماعية كالمشاركة الوجدانية والتعاون وغريزة التجمع إضافة إلى دراسة الإتجاهات . فقد صدرت دراسات خاصة بالأنثروبولوجيا السيكولوجية التي تعنى بالظواهر السيكولوجية لبني البشر حيث يعتبرون في طبقة أو جماعة ، حيث أن دراسة الطبيعة الإنسانية من صميم علم النفس العام ، كما أنها عامل حتمي في تكوين النظم الاجتماعية . [3]

5-3- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الإجتماع :

[1] سعاد علي حسن شعبان ، الأنثروبولوجيا الثقافية لإفريقيا ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، مصر ، 2004 ، ص 13.

[2] ناصر إبراهيم ، الأنثروبولوجيا الثقافية (علم الإنسان الثقافي) ، عمان ، 1985 ، ص 21.

[3] حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، الأنثروبولوجيا في المجال النظري ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط 1 ، 1988، ص 86.

يعرف " ميلتون بارون BARRON. Mعلم الاجتماع بأنه " العلم الذي يضطلع بمهمة البحث عن المعرفة المتعلقة بأنماط التفاعل الاجتماعي وأثر الأنساق الاجتماعية على الاستجابات السلوكية والفعلية والانفعالية للكائنات الإنسانية " . [1] وهو أيضا العلم الذي يدرس العلاقات بين الأفراد وعمليات التفاعل فيما بينهم وتصرفاتهم كأعضاء مكونين لهذه الجماعة ، فهو يركز على سلوكات الأفراد ضمن هذا المجتمع أو ذاك ويدرس بالتالي تأثير البيئة الاجتماعية الاقتصادية والثقافية في تكوين الشخصية الإنسانية وتحديد العلاقات بين الأفراد . [2]

وبالرجوع إلى تاريخ الأنثروبولوجيا نجد أنها استقت الكثير خاصة في بداياتها من علم الاجتماع عندما ظهر في القرن التاسع عشر ميلادي أو مما شكلت فلسفته من خلال أفكار مونتيسكيو Montesquieu، دوتكفيل de, Tocqueville، أوغست كونت Auguste, comte، ودوركايم ...

يشترك علم الاجتماع مع الأنثروبوجيا – خاصة الاجتماعية منها – في دراسة البناء الاجتماعي والوظائف الاجتماعية مما دعا راد كليف براون إلى القول بأن الأنثروبولوجيا الاجتماعية هي فرع من فروع علم الاجتماع المقارن الذي يدرس الظواهر الاجتماعية عبر المجتمعات.[3] وقد ناهض البعض هذه الفكرة على أساس أن الأنثروبولوجيا تدرس الإنسان، ثقافته، ونظمه الاجتماعية في المجتمعات البسيطة والبدائية نسبيا أما علم الاجتماع فيهتم بدراسة المجتمعات الإنسانية الحالية والكبرى. ولكن مع تطور اهتمامات الأنثروبولوجيا انتفت هذه الفكرة.

ودراسة الأنثروبولوجيا للمجتمعات الإنسانية تتركز في الغالب على التقاليد والعادات والنظم والعلاقات بين الناس والأنماط السلوكية المختلفة التي يمارسها شعب ما أو أمة معينة . [4] أي أن علم الأنثروبولوجيا يدرس الحياة الاجتماعية (المجتمع ككل) وينظر إليها نظرة شاملة ، ويدرس البيئة العامة والعائلة ونظم القرابة والدين بينما تكون دراسة علم الاجتماع متخصصة إلى حد بعيد ، حيث تقتصر على دراسة ظواهر

---

[1] خالد حامد ، مدخل الى علم الاجتماع ، جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 2 ، 2012 ، ص 11.

[2] الجيوشي فاطمة والشماس عيسى ، التربية العامة ، جامعة دمشق . كلية التربية ، سوريا ، 2002 ، ص 59.

[3] لطفي عبد الحميد ، الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، دار المعارف ، القاهرة ، 1979، ص 44.

[4] أبوهلال أحمد ، مقدمة في الأنثروبولوجيا التربوية ، المطابع التعاونية ، عمان ، 1974 ، ص 11.

محددة أو مشكلات معينة أو مشكات قائمة بذاتها كمشكلات الأسرة ، الطلاق ، الجريمة ، البطالة، الادمان والانتحار ... الخ . [1]

وإذا كان علم الاجتماع يهتم في دراسته بالمجتمعات ذات التنظيم المعقد مثل المجتمعات الصناعية ، فإن الأنثروبولوجيا الاجتماعية تهتم في دراستها بالمجتمعات ذات التنظيم البسيط مثل المجتمعات الصغيرة، فهي تنصب في دراستها على المجتمعات التي تختلف كثيرا عما يسمى بالدولة ، وبمعنى آخر إنها تهتم بالمجتمعات البدائية أو المجتمعات التي لا تعرف القراءة والكتابة أو المجتمعات العشائرية أو القبلية بهدف التعرف على أصول النظام الاجتماعي لهذه المجتمعات والفروق الاجتماعية التي تميزها عن بعضها البعض، وهذا ما جعل مجموعة من الباحثين يرون أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية هي فرع من فروع علم الاجتماع نظرا للتشابه بينهما في دراسة المجتمع . [2]

ويتجاوز الترابط بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا المعلومات التي يستقيها كل منهماإلى منهجية البحث أيضا. فبينما يعتمد السوسيولوجي على افتراضات نظرية لدراسة وضع المتغيرات الاجتماعية ويحاول التحقق منها من خلال المعلومات التي يجمعها بواسطة أداة إستبيان أو إستمارة ، يتعدى الباحث الأنثروبولوجي هذه المرحلة إلى محاولة فهم الواقع من خلال المعايشة والملاحظة المباشرة للأفراد في حياتهم اليومية.

5-4- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الآثار :

إن علم الآثارArchéologieشريك جد مهم في ميلاد الأنثروبولوجيا ، ومصطلح Archeologie مشتق من الكلمة الإغريقية Archeologia ومعناها العلم الذي يهتم بكل ماهو قديم . [3] وعليه فإن علم الآثار هو علم يدرس البقايا المادية للإنسان في المجتمعات المختلفةكالآثار، الأواني، النقود والمواقع الأثرية في حين غمر بعضها مع الزمن في أعماق الأرض.

ويعد علم الآثار علما حديثا نسبيا وقائما بحد ذاته زاد تطوره باكتشاف الكربون المشع وبالوسائل العلمية والتكنولوجية الحديثة المستخدمة بغرض التنقيب ، لذا فالدراسات الأركيولوجية تستدعي القيام بالبحث والتنقيب عن البقايا المادية (قطع أثرية، نقدية، سكنية...الخ) والعضوية (بقايا عظام، حيوانات، نباتات...).

---

[1]. لطفي عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص 45

[2] سعاد علي حسن شعبان ، مرجع سابق ، ص 11.

[3]. مصطفى تيلوين ، مرجع سابق، ص 42

تركز الأركيولوجيا على دراسة الثقافة المادية للإنسان التي تتعامل مع الأجسام الطبيعية التي خلقت أو استعملت ضمن مجموعة حية راهنة أو ماضية كمحاولة لفهم قيمها الثقافية من خلال دراسة مخلفاتها وآثارها وإعادة بناء تاريخي يرسم صورة الأشكال الثقافية الماضية وذلك بتتبع نموها وتطورها عبر الزمان ، وما يعثر عليه الباحث التاريخي من آثار يستفيد منها الباحث الأنثروبولوجي في وصف الثقافة القديمة وربطها بالبيئة الطبيعية التي وجدت فيها ، ومن ثم معرفة وربط حضارة الإنسان الكلية عبر هذه المواد التي يجدها عالم الآثار بالجانب الاجتماعي والثقافي ، وقد يعد هذا ما دفع بالكثيرين إلى اعتبار علم الآثار تخصصا من تخصصات الأنثروبولوجيا.

إذن هناك ارتباط وثيق بين علم الإنسان وعلم الآثار ، فهذا الأخير يعتمد على الدراسات التتبعية وذلك بتتبع المجتمعات والثقافات القديمة خاصة في المجتمعات التي تفتقر إلى التراث المكتوب، ذلك أن الكتابة إختراع إنساني حديث للغاية على التاريخ البشري ، ففي حين ترجع البدايات الأولى للثقافات الإنسانية إلى حوالي مليون سنة مضت تقريبا ، لا ترجع الكتابة إلا إلى أكثر من حوالي خمسة آلاف سنة فقط ، بل نجد علاوة على هذا أن الكتابة مازالت غير معروفة في عدد كبير من المجتمعات البشرية الراهنة .[1] وبهذا يحاول كلا من الأركيولوجي والأنثروبولوجي شرح كيفية تكيف الإنسان مع بيئته وسيطرته على الطبيعة وتكوين ثقافته من خلال ما توفر لهما من معطيات. ومن هنا نستشف العلاقة المتبادلة والفعالة بين الأنثروبولوجيا والأركيولوجيا.

5-5- علاقة الأنثروبولوجيا بالجيولوجيا :

الجيولوجيا هي علم طبقات الأرض ، حيث تساعد الدراسات الجيولوجية التاريخية في تحديد الفترات الزمنية التي عاش فيها كل نموذج من أنواع الجنس البشري نظرا لوجود البقايا العظمية للأسلاف على شكل بقايا مستحاثات حفرية بين ثنايا القشرة الأرضية الرسوبية المنضدة بعضها فوق بعض وفق خاصية النشوء والتقدم لكل منها بحيث يكون أسفلها أقدمها وأعلاها أجدها . وهذا يمكننا من معرفة الفترة الزمنية التي عاش فيها الإنسان الحفري إلى جانب معرفة العالم الحيواني الذي كان يحيط به من خلال التعرف على البقايا العظمية المستحاثية للأنواع الحيوانية التي كانت تعاصره في بيئة جغرافية واحدة ، كما أننا نستطيع التعرف على الظروف المناخية التي كانت سائدة عندما يعيش هذا الإنسان أو ذاك في تلك الأزمنة السحيقة من تاريخنا البشري .

---

[1] محمد الجوهري وآخرون ، مرجع سابق ، ص 36.

كما تستفيد الأنثروبولوجيا من الدراسات الجيولوجية من خلال المعطيات العلمية الجغرافية وفي مقدمتها النواحي الطبيعية من تضاريس ومياه إلى جانب الظروف المناخية التي تتفاوت من منطقة إلى أخرى وذلك بحسب قربها أو بعدها – من خط الإستواء – أو من شواطىء البحار والمحيطات وارتفاعها وانخفاضها عن سطح البحر . فهذه العوامل كلها تؤثر في حياة الإنسان بجوانبها المختلفة العضوية والاجتماعية والثقافية .

ولذلك فإن الأحوال المعيشية والبنى الاجتماعي عند المجتمعات البشرية ليست متشابهة بسبب تباين الظروف الجغرافية التي توجد فيها تلك المجتمعات ، فسكان المناطق الجبلية المرتفعة يكونون في مأمن من الأخطار الخارجية بينما يتعرض سكان السهول دوما إلى غزوات من الشعوب أو القوى الخارجية ، وفي المقابل يكون سكان المناطق الساحلية أكثر إنفتاحا في علاقاتهم مع العالم الخارجي قياسا بأهل المناطق الداخلية حيث تكون العلاقات الأسرية شبه منغلقة على ذاتها إلى جانب الإلتزام بالعصبية القبلية وهذا ينعكس في سلوكية السكان في هذه المنطقة أو تلك . [1]

ولذلك يميل علماء الأنثروبولوجيا إلى إهمال ما يسمى بالقدرات الفطرية للشعوب الإنسانية ويؤثرون كتابة تاريخ الحضارة في ضوء عوامل البيئة وتسلسل الأحداث المترابطة فهناك من يجد أن للمناخ أثرا في ناتج الطاقة الإنسانية ، وهناك من يعتقد بوجود علاقة بين الطقس والخمول الذي يتميز به سكان المناطق الحارة أو النشاط الإندفاعي الذي يتميز سكان المناطق الباردة .

5-6- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم السكان :

علم السكان هو " العلم الذي يدرس أعداد السكان (الحجم) والتركيب السكاني وتطوير أولئك السكان في مجتمع معين وكذلك العوامل التي تتدخل في تحديد هذا التركيب وآثار هذا التركيب السكاني على الظروف الاجتماعية الأخرى ". [2]

وإذا كان هذا العلم يهتم بدراسة أعداد السكان ، فهناك علاقة تربط بين هذا العلم وبين علم الأنثروبولوجيا ، فهذه الأخيرة تتصل في جوانبها الاجتماعية بعلم السكان . وقد تخصص فريق كبير من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية في دراسة الأحوال المعيشية والحضارية والخلقية لسكان الجماعات البدائية المتخلفة . ووجه الكثير منهم اهتماما خاصا لدراسة السكان الأصليين في استراليا والأمريكيتين وخاصة بعد

---

[1] لينتون رالف ، الأنثروبولوجية وأزمة العالم الحديث ، ترجمة : عبد المالك الناشف ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1967، ص 14 .

[2] مصطفى تيلوين، مرجع سابق ، ص ص 63-64 .

توطن الأوروبيين في تلك القارات لاستثمار المواد الأولية ولحل أزمات البطالة والمشكلات السكانية في القارة الأوروبية . [1]

وقد كان اهتمام المفكرين والفلاسفة من قبل بهذه الجماعات مبعثه في بادىء الأمر حب الاستطلاع والتعرف على الغريب غير المألوف ، ولعقد المقارنة بين حالة السكان الذين يعتمدون اعتمادا مباشرا على الموارد الطبيعية وبين السكان الذين تقدمت بهم سبل المعرفة والإنسانية . أما الآن فقد أصبح الاهتمام بدراسة أحوال سكان المناطق التي هاجر إليها الأوروبيين أو استعمروها يقوم على أسباب أكثر اتصالا بالعلم منها بالطرافة الفكرية وأصبحنا نجد تخصص في دراسات ميدانية لسكان تلك المناطق . [2]

5-7- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الأحياء :

البيولوجيا كلمة يونانية مكونة من شطرين Bios بمعنى الحياة Vie و logos بمعنى علم أو دراسة وبهذا فهي تعني علم الحياة Science de vie. يدرس هذا العلم البنى الحية مثل : الأجهزة، الأعضاء، الخلايا ومكوناتها، طريقة تكونها، عملها والعلاقات التي تربط بينها وبين بيئتها ، حيث يتناول علم الحياة دراسة الكائنات الحية من وحيد الخلية الأبسط تركيبا حتى كثير الخلايا الأكثر تعقيدا ولذلك يعرف أيضا بأنه العلم الذي يدرس الكائن الحي من حيث بنية أعضائه وتطورها.

ويرتبط علم الأحياء بكل العلوم الطبيعية ولا سيما علم وظائف الأعضاء والتشريح والوراثة ، هذا الأخير الذي يساهم بشكل كبير في تفسير التنوع الوراثي في العضيات التي تنتمي إلى النوع نفسه.

وتكمن علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الحياة في أن هذا الأخير يفسر لنا كيفية نقل صفات معينة عبر الأجيال ويفسر كيفية تغييرها لتظهر صفات جديدة وهذا ما تهتم به أيضا الأنثروبولوجيا الفيزيقية خاصة من خلال اهتمامها بدراسة تطور الجنس البشري ورسم تاريخه . ولا ترتبط علاقة الأنثروبولوجيا والبيولوجيا بالحاضر والمستقبل فقط بل تتعداها للماضي من خلال اهتمام البيولوجيا أيضا بتحليل البقايا العضوية للمساهمة في معرفة تاريخ وسيرورة النوع البشري وهوالهدف الذي تتقاسمه مع الأنثروبولوجيا.

---

[1] مصطفى عمر حمادة ، الأنثروبولوجيا والتنمية السكانية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 2012 ، ص 62 .

[2] أحمد الخشاب ، سكان المجتمع العربي دراسة تكاملية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، مصر ، بدون سنة نشر ، ص 88.

وتختلف الأنثروبولوجيا عن البيولوجيا في أن تحليل الأنواع في الأنثروبولوجيا لا يقف فقط على التنوع الحيوي للجنس البشري بل يتعداه حتى للتنوع الثقافي والاجتماعي من خلال دراسة حاجات الإنسان، تنوعها وكيفية تلبيتها وإشباعها إلى غير ذلك على خلاف البيولوجيا التي تنحصر في الجانب الفيزيقي .

ومنه فالأنثروبولوجيا شديدة القرب من البيولوجيا إذ يدرس كلاهما عملية إعادة إنتاج الحياةالفيزيقية بالنسبة للبيولوجيا والفيزيقية الثقافية بالنسبة للأنثروبولوجيا لكن كل في تخصصه .

5-8- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم الإحصاء :

علم الإحصاء هو" العلم الذي يدرس مختلف طرق ووسائل جمع البيانات الكمية عن مختلف الظواهر الاقتصادية والاجتماعية ... وترتيبها وتبويبها وتحليلها وتفسيرها ، وتقديمها بأشكال وصور ملائمة بهدف تسهيل اتخاذ القرار على أساس سليم ".[1]

وبما أن الأنثروبولوجيا علم يعنى بدراسة الإنسان وما يتعلق به من ظروف نشأته وتطوره وثقافته وعقائده وتقاليده ، معتمدة في ذلك على جمع بيانات ميدانية من داخل مجتمع واحدا كان أو عدة مجتمعات ، فإن الأنثروبولوجي بعد التطور والإسهامات الحاصلة في تلك المجتمعات أفرزت حاجة ماسة إلى ابتكار أساليب وأدوات أكثر إحكاما من حيث الملاحظة والمشاركة والمقابلة المعمقة والاستعانة بالإخباريين ومعايشة الواقع ... إلخ .

من هذا المنطلق والإطار تم اتخاذ المنهج الإحصائي أسلوبا جديدا من أساليب البحث الأنثروبولوجي، وفي خضم انتشار وتطور لغة الأرقام والمعادلات والرموز الرياضية تقدمت وتطورت بدورها العلاقة بين علم الإحصاء وعلم الإنسان لأن هذا الأخير بلغ درجة من التطور اتجاه الأسلوب الكمي . فكلما كانت المجتمعات متجانسة ومستقرة كلما برزت الحاجة إلى الإحصاء ضمن علاقته بالأنثروبولوجيا، وتظهر تلك العلاقة في ذاك النطاق الخاص بالمقارنة الثقافية والبناء الاجتماعي .[2]

5-9- علاقة الأنثروبولوجيا بعلم اللغة :

---

[1] محمد راتول ، الإحصاء الوصفي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2006 ، ص 7.

[2] عبد الرحمان عدس ، مبادىء الإحصاء لبرنامج الأعمال الإدارية والمالية ، دار الفكر ، عمان ، 1989 ، ص 65.

تعد اللغة عبارة على مجموعة من الرموز الصوتية التي تعارف عليها الناس وتعمل على تسهيل التفاعل بينهم ،ويهتم علم اللغة بتحليل اللغة ورصد الإختلاف فيها عبر الزمان والمكان ، كما يدرس النظم الصوتية والقواعد ومفردات اللغة في أي مجتمع أو ثقافة. ويدرس أيضا أصل اللغات والعلاقات التاريخية التي تربط بينهما سواء اللغات المكتوبة منها أو المنطوقة وكذا الاستعمالات الاجتماعية للغة والعلاقة بين اللغة والثقافة.هذا لأن اللغة عنصر ثقافي جد مهم فهي وعاء الفكر والتفكير الإنساني أينما كانفي الظروف الزمكانية المختلفة.

وتأتي علاقة الأنثروبولوجيا باللغة من خلال كون هذه الأخيرة ظاهرة اجتماعية ثقافية تشرح الأصول والعادات والمفاهيم والخصائص الثقافية والاجتماعية لأي جماعة إنسانية.فاللغة تعد من الأسس التي يبنى عليها التحليل الأنثروبولوجي لأي جماعة إنسانية كانت من خلال متابعة اللغات ، تفرعها إلى لهجات ، مدى انتشارها وتأثيرها ببعضها البعض ، علاقتها بالأديان وبالعلوم والاحتكاك الثقافي بين مختلف الشعوب.

يحتاج الباحث الأنثروبولوجيإلى نتائج الدراسات اللغوية ،لأن معرفته باللغة تساعد بقدر كبير في معرفة وتحليل المجتمع محل الدراسة لأنها وسيلة الاتصال الأنجع بالأهالي والتي تمكنه من المعلومة الحقيقية.

6- نظريات الأنثروبولوجيا :

تمهيد

هناك نظريات كثيرة في الأنثروبولوجيا نظرت إلى مختلف جوانب حياة الإنسان سواء أكانت ثقافية ، سياسية، اجتماعية ، اقتصادية ، جمالية أو فنية ... الخ . ولكل منها رؤيتها وموقفها ومنهجها وتفسيرها لهذه الجوانب والمجالات هذا من جهة ، أما من جهة أخرى فإن هذه النظريات تدل على حيوية وفاعلية البحث الأنثروبولوجي ، وعلى أنه بحث متواصل ومستمر يتكيف مع التغيرات ويبدع حولها تنظيرات ومفاهيم ومناهج . وعموما نستطيع رصد أهم النظريات الأنثروبولوجية من الناحية الكرونولوجية كما يلي:

6-1- النظرية التطورية :Evolutionnisme

تعد النظرية التطوريةأول تيار فكري أنثروبولوجي ظهر في منتصف القرن التاسع عشر موازاة مع الأفكار التي عرفها الفكر الإنساني آنذاك. انتشرت بشكل مميز في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، وهي تقوم على افتراض وجود قانون يحكم تطور البشرية أيأن المجتمعات تنتقل من حالة البساطة في تنظيمها إلى التعقيدا .

واهتمت النظرية التطورية بالبحث عن نشأة المجتمع الإنساني والثقافة كما حاولت رسم صورة عامة لتطور هذه الأخيرة منذ القدم وعبر مختلف المجتمعات. وانتشر هذا الاتجاه في معظم العلوم الاجتماعية كصدى لفكر تشارلز داروين (1809–1882) العالم الطبيعي الانجليزي واضع نظرية في تطور الأحياء ، أخرج كتابه " أصل الأنواع " (1859) ، وضع فيه نظرية في الأصل المشترك وأخرى في التضاعف العددي للأنواع وأخرى في التدرجية وأخرى في الانتخاب الطبيعي . [1]

وقد تساءل الباحثون التطوريون عن الشروط الطبيعية، الفكرية والمجتمعية التي حكمت تحول المؤسسات والنظم السياسية، الاقتصادية والاجتماعية والتي غيرت من حياة الإنسان، واستخدمت للإجابة عن هذه الأسئلة المنهج المقارن بين الشعوب والثقافات وكذا المنهج التاريخي الذي يعتمد على جمع بعض الحقائق التاريخية ويحاول أن يربط بها أوضاع المجتمع والحضارة للوصول إلى المؤشرات الدالة على درجة التطور.

– رواد النظرية التطورية:

– لويس هنري مورغان Morgan Lewis Henry (1818–1881) :

هو مؤسس الأنثروبولوجيا في أمريكا وأول من قام بالبحث الميداني حول قبائل الايروكوا وهي قبائل من الهنود الحمر يعيشون بالقرب من نيويورك.من أهم كتبه " نسق روابط الدم والمصاهرة في العائلة الإنسانية " Systems of consanguinity and affinity of the humanfamily (1871) الذي يعد أول دراسة علمية لأنساق القرابة . درس العائلة وتنظيمها حيث يرى مورغان أن الأسرة تطورت من الزمر الاجتماعية التي تسودها الإباحية الجنسية إلى نظام الزواج الجماعي فنظام الإنتساب للأم ثم للأب ليظهر أخيرا الزواج المونوقامي، ودرس كذلك أشكال الحكم، تقنيات العيش ووسائله في عدة ثقافات .وتوصل إلى أن تطور الإنسانية يتم وفق مخطط وحيد يمتاز بثلاث مراحل كبرى متتالية هي المرحلة الهمجية ، البربرية ، ومرحلة الحضارة ، وقسم المرحلتين الأوليتين إلى ثلاث حقب (دنيا، وسطى، عليا) كما أعطى قوانينا للتطور الثقافي في محاولته شرح أو فهم كيف يتم العبور من مرحلة لأخرى وأيضا شرح لماذا بقيت بعض الأمم أو الشعوب متأخرة عن الحضارة.

من بين ما لاقاه مورغان كنقد لنظريته أنه لا يوجد دليل لإثبات التتابع في نظام الأسرة ، بالإضافة إلى أن بعض الأنظمة كنظام الأسرة المونوقامييوجد في المجتمعات المتحضرة وعند بعض القبائل البدائية. فضلا

[1] صلاح الدين شروخ ، مرجع سابق ، ص 172 .

عن تقسيمه العالم لقسمين قسم أول يضم الإنسان المتحضر (ما يماثل أو يشبه الحضارة الأوروبية) وقسم ثاني يضم البدائيين .

- ادوارد تايلور Edward Buenett Tylor (1832-1917) :

أنثروبولوجي بريطاني أول من اقترح إجراء تحليل إحصائي للمعطيات الاثنوغرافية للتوصل لمعرفة نوع الارتباط بين مختلف المؤسساتوصاحب أشهر تعريفللثقافة .

كان تايلور أقلتمسكا بالحتمية في رؤيته للتطور،حيث يرى أن هذا الأخير يتم بناءعلى مساهمات خارجية ، كما كان يرى أن المسارات الثقافة التي سلكتها الشعوب لا يمكن أن تكرر على وجه واحد وعبر حركة أحادية الخط . اشتهر تايلوربدراسته للأساطير وللدين ، ومنها قام ببناء نظريته حول تطور المعتقدات الدينية التي تبدأ بمرحلة الاعتقاد بالأرواحl'animisme، تعدد الآلهةPolythéisme ثم وحدانية الآلهةMonothéisme .

انتقدت نظرية تايلور كونها تعد مجرد إعادة تركيب تخيلي أكثر من أفكار مبنية على دراسات علمية حقيقية (منهج تاريخي ظني)، وكذا ضعف تفسيرأطوار الانتقال الثقافي من مرحلة لأخرى ، إضافة لاعتبار تايلور أن الحضارة الغربية نهاية كل تطور.

- جيمس فريزر James George Frazer (1854-1941) :

أنثروبولوجي اسكوتلندي ، بحث في مجال الديانات (الأساطير ، الألوهية ، الإيمان ، الخلود والقرابين) حيث وصف في الأجزاء الإثني عشر من كتابه " الغصن الذهبي " Rameau d'or بعض الممارسات الدينية والعقائدية التي لاحظها من خلال دراسته وتتبعه لبعض الشعوب أو من خلال دراسات قام بها آخرون ولعل هذا ما يرجع إليه نشأة الأنثروبولوجيا الدينية أو الميتولوجيا المقارنة.

مساهمة فريزر في المدرسة التطورية كان عن طريق نظريته حول السحر وتطور المجتمعات ، حيث يرى أن المعتقدات الإنسانية تطورت من مرحلة الإيمان بالسحر إلى مرحلة الدين فمرحلة العلم. حيث اعتقد الإنسان الأول أن بإمكانه السيطرة على الطبيعة بالسحر، ومع الوقت تبين له قصور هذه الطريقة فاتكل على الدين والآلهة وفوض أمره لها ثم إحتكم إلى العلم في الأخير.

لم تسلم نظرية فريزر هي الأخرى من النقد ومن أهم نقادها مالينوفسكي الذي رأى أن هذه النظرية عاجزة عن الدفاع عن نفسها ، وأن الأقوام التي عرفت السحر ومارسته كانت أيضا تحسن استخدام

العقل وتملك معرفة علمية بأمور الطبيعة.

- نقد النظرية التطورية:

رغم ما جمعته هذه النظرية في بداياتهامن علماء حولها وما أنتجته من تراث علمي زاد من المعطيات الأنثروبولوجية في تلك الحقبة ، إلا أنها مع الزمن تعرضت لكثير من النقد بوصف أفكارها تخمينية ضنية لم تصلبعد مرحلة القانون المثبت . كما أن النظرية التطورية تتحدث عن وحدانية النوع البشري وكونية وعمومية الحركة التاريخية التي تعيشها كل الثقافات والمجتمعات ، وهي تضع التاريخ كمبدأ لشرح الإختلاف بين المجتمعات من منطلق أن أي اختلاف هو اختلاف في مرحلة التطور لا غير. لكنها بهذا لا تشرح التنوع الثقافي والاجتماعي ولا تأخذ بعين الاعتبار المحددات البيئية والمناخية المختلفة التي تساهم بقدر كبير في تحديد الاختلاف الثقافي. إضافة إلى أنها لم تجب عن سبب تأخر بعض الثقافات في التطور دون أخرى ووقوفها في مرحلة معينة.كما عيب عليها أيضا تمركزها حول الثقافة الغربية الأوربية Ethnocentrisme واعتبارها الغاية النهائية للتطور أو المثال الأصح للتحضر دون غيرها من الثقافـــات.[1]

6-2- المدرسة الانتشارية Diffusionnisme :

ثارت المدرستان الألمانية والأمريكية ضد النظرية التطورية منذ 1870 لأنهما تعتقدان أكثر بفكرة إنتشار الأصول المشتركة للخصائص الثقافية بدلا من التطور المشترك ، ويعرف هيرسكوفيتس (Herskovits) الإنتشار بأنه " دراسة النقل الثقافي الذي أنجز فعلا ". [2]

تأسست المدرسة الانتشارية في دراسة التغير الثقافي ونظرت إليه كرد فعل لانتشار سمات ثقافية من مجتمع أصلي إلى مجتمع آخر عن طريق النقل أو الإستعارة أو الإحتكاك أو الغزو. وهنا تتخذ الانتشارية من الجغرافيا مجالا لها . وتقسم العالم إلى مجموعة من الخرائط التي توضح الأصول التي ظهرت فيها السمات الثقافية ومنها انتشرت إلى المناطق الثقافية الأخرى ()Areas-Cultural وقد يتم الانتشار عن طريق الهجرة أو عن طريق الاستعارة ، أما الهجرة فهي تؤدي إلى انتشار وحدات ثقافية كبيرة ، في حين تعد الاستعارة عملية نقل وحدات ثقافية بسيطة دون حدوث حركات شعبية وانتقال شعوب بأكملها . [3] كما أن

---

[1] Michael Wesch ,op.cit , p12 .

[2] ملفيك هيرسكوفينس ، الأنثروبولوجيا الثقافية ، ترجمة : محمد طلعت عيسى ، دار النهضة العربية ، 19، القاهرة 75 ، ص 452 .

[3] دلال ملحس استيتية ، التغير الاجتماعي والثقافي ، دار وائل ، عمان ، ط 2 ، 2008 ، ص ص 106-107.

النزعة الانتشارية تمثل وجهة نظر الاثنولوجيين التي تؤكد انتشار الاختراعات من مراكز ثقافية محدودة العدد نسبيا ، تلك المراكز التي تلعب دورا بارزا في النمو الثقافي . [1]

ومنه فإن الانتشارية تبحث عن صيغ انتشارالعناصر أو الأنساق من ثقافة لأخرى وهذا من خلال الإجابة عن بعض الأسئلة مثل لماذا تتنوع الثقافات ؟ وأيضا كيف يتم هذا التنوع؟

- رواد المدرسة الانتشارية :

- فرانز بواز Franz Boas (1858-1942):

أنثروبولوجي أمريكي من أصل ألماني أصبح أول بروفيسور للأنثروبولوجيا بجامعة كولومبيا ، درس عدة قبائل في أمريكا وكندا ، ركز على أهمية الملاحظة والبحث الأمبيريقي والوصفي في الأنثروبولوجيا ، وكان ضد التصنيف القائم على مقارنة البدائي بالمتحضر وانتقد بشدة مصطلح العرق لأنه يؤدي إلى التمييز العنصري .وفي هذا الصدد دعمت هيئة بحوث الهجرة بالولايات المتحدة الأمريكية بواز سنة 1907 في بحوثه على الأطفال الأوروبيين المهاجرين الذين يعانون من العنصرية جراء الهجرة ، حيث اهتم بتأثير الهجرة على سكان الولايات المتحدة الأمريكية بسبب العرق ، الثقافة واللغة .[2]

عمل بواز على غرس مقاربة خاصة بالثقافة حيث ينطلق من أن أنواع وأشكال حياة الإنسان لا تتطور حسب نموذج خطي لكنها نتاج سيرورة تاريخية محلية تحدد بالاحتكاك مع المجتمعات المجاورة. ومن هذا المنطلق اعتمد بواز على الدارسة التفصيلية والتحليلية للثقافات الصغيرةمن جميع جوانبها: الدين، الفن، اللغة، التاريخ، الخصائص الفيزيقية للشعوب وحتى التجارب الفردية كثقافات العشائر والقبائل بهدف إعادة بناء وتصور تاريخ ثقافة ما في الماضي ، ثم المقارنة بين تواريخ مجموعة القبائل المدروسة للوصول إلى القوانين العامة التي تحكم نمو الثقافات ، حيث قال بواز في إحدى مقالاته في سنة 1887 " نستطيع أن نفهم فن شعب من الشعوب وأسلوبه المميز ، فقط إذا ما درسنا النتاج المميز لهذا الفن وذلك الأسلوب " . [3]

---

[1] نيكولا تيماشيف ، مرجع سابق ، ص 322.

[2]Satish Kediaand John Van Willigen ,Applied Anthropology .Domains of Application,Library of Congress Cataloging- in- Publication Data, U.S.A ,2005,P 5.

[3] نيقولا تيماشيف ، المرجع نفسه ، ص 322 .

واستخدم بواز للإجابة عن الأسئلة التي تطرحها الانتشارية عدة تقنيات ومناهج كالمنهج الوصفي والمنهج التاريخي والمنهج المقارن والمنهج التحليلي لرصد العوامل المؤدية للتطور في بعض المجتمعات.

- كلارك وسلر Wissler Clark (1870-1947) :

إن الدراسات الكثيرة التي قام بها الباحثون الأنثروبولوجيون حول الثقافة ساق الأنثروبولوجي الأمريكي كلارك وسلر Wissler لتبني مفهـــوم " المنطقة الثقافية " Zone culturelle ، هاتـه الأخيرة تعنـي " المنطقة الجغرافية التي يوجد فيها قدر معقول من التشابه الثقافي".[1] والهدف من وضع هذا المفهوم هو تصنيف وتقسيم ثقافات العالم حسب تشابهها إلى مجموعات ثقافية لفهم مصدر الثقافة والوقوف على مدى تشابه عناصرها في بعض المجتمعات المتجاورة. ومن أجل تحديد المنطقة الثقافية لابد من تحديد عناصر تلك الثقافة ومدى انتشارها (كطريقة الحصول على الطعام، طرق الطهي، أدوات الصيد والزينة والبناء ...الخ) ومن ثم يتم تحديد مركز المنطقة الذي تتركز فيه معظم العناصر الثقافية المنتشرة في المنطقة ثم الهامش الذي تقل فيه العناصر الثقافية تدريجيا لاختلاطها بثقافات أخرى .

كما أنتج وسلر أيضا مفهوم " المنطقة الزمنية " والذي يهتم بمقارنة عمر العنصر الثقافي في المناطق المختلفة ،وللإشارة فإن هذا المفهوم لم يلق نفس النجاح الذي لاقاه المفهوم السابق.هذا إضافة إلى مفهوم " قمة الثقافة " الذي برز في المدرسة الألمانية ويهتم بالبحث عن المنطقة التي تمثل قمة الثقافة وذلك من خلال جمع العناصر الممثلة لتلك الثقافة.

والجدير بالذكر التعرض إلى نظرية أخرى ظهرت متزامنة مع النظرية الانتشارية وهي النظرية التناسقية التكاملية configurationnalisme ورائدها هو sapir. E والتي تعترض عن فكرة فصل الثقافة عن الأفراد، ففهم الثقافة يوجب دراسة معتقداتنا وقيمنا وأفكارنا ومثالياتنا أي أن قدرات الفرد هي أوسع نتاج لثقافتنا .[2] كما أكد هذا الاتجاه على الخاصية الرمزية" Symbolique " للثقافة، لأن كل سلوك ثقافي هو عبارة عن سلوك رمزي قائم على معاني مشتركة ومتبادلة بين أفراد المجتمع الواحد.

ويرى سابير أن جوهر الثقافة هو تفاعل الأفراد وما يترتب عليه من معاني ومشاعر مشتركة. وقد تأثرت بندكت روث (1887-1948) بهذا التفسير وغيرت من مجرى أبحاثها من خلال استخدام مصطلح

---

[1] دلال ملحس استيتة، مرجع سابق ، ص 106.

[2] Michael Wesch ,op.cit , p 6 .

" التناسق" حيث ارتكزت على الاتجاه النفسي ووتوصلت إلى أن الثقافة مثل الفرد لديها نمط متناسق من الفكر والعمل . ويمكن فهمها (أي الثقافة) من خلال الاتجاهات العقلية والشعورية السائدة والقيم والأهداف المشتركة بين أفراد المجتمع. قدمت بندكت روث دراسات أخرى بعدها أكدت على أهمية دراسة الثقافة والشخصية معا بحيث لا يمكن فهم أحداهما دون الأخرى وهذا ما يعرف بالأنثروبولوجيا النفسية أو الإتجاه النفسي في الأنثروبولوجيا.

- نقد النظرية الانتشارية :

لم تسلم النظرية الانتشارية من النقد ، ومن بين ما وجه لها من انتقادات هو تركيزها على تشابه شكل الثقافات المتمايزة دون النظر إلى ماتحمله من معان مختلفة ، والتفسير الأحادي لعملية التغير والتطور الثقافي بإرجاعه إلى الانتشار أو الإقتباس الناتج عن الإحتكاك بين الشعوب والمجتمعات دون الأخذ بالعوامل الأخرى ، فضلا عن إهمالها لقدرة الإنسان على الإختراع في كل المجتمعات على حد سواء ، وقصر النظرية عن تقديم تفسير لكيفية انتقال العناصر الثقافية بين الشعوب والقبائل خاصة المتباعدة عن بعضها زمانيا أو مكانيا، وأخيرا تدعيمها لفكرة أفضلية الثقافة الغربية على باقي الثقافات.

6-3- النظرية الوظيفية البنائية : Structuro- fonctionalisme

تعود بواكير هذا الاتجاه إلى مانتيسكيو ، إلا أن فضل توجيه انتباه الأنثروبولوجيين إلى التحليل الوظيفي- ومن ثم البنائي- يعود خاصة إلى هربرت سبنسر واميل دوركايم اللذين شبها المجتمع الإنساني بالكائن الحي من حيث البناء la structure والوظيفة la function. فالمجتمع حسبهما ينمو ويتطور باطراد كما هو الحال بالنسبة للكائن الحي ، كما أن تقسيم العمل فيه يتم تماما كما تتوزع الوظائف العضوية في البناء العضوي. واستخدم سبنسر فكرة المماثلة analogies لإيضاح وظائف النظم الاجتماعية من منطلق أن الظواهر الاجتماعية ليست منعزلة وإنما متفاعلة ومتكاملة وينشأعن هذا التفاعل والاتحاد " الكل الاجتماعي " ، هذا الكل يتكون من أجزاء مترابطة مع بعضها البعض من خلال الوظيفة التي تؤديها لتؤمن تماسك المجتمع. ومن هنا تشير الوظيفة إلى الإسهام الذي يقدمه الجزء للكل، وهذا الكل قد يكون متمثلا في مجتمع أو ثقافة ، ولعل ذلك هو المعنى الذي يقصده كثير من الأنثروبولوجيين مثل رادكليف براون ورالف لنتون ومالينوفسكي . [1]

[1]. نيكولا تيماشيف ، مرجع سابق ، ص 320 .

ركزت النظرية البنائية الوظيفية على دراسة الأفعال الاجتماعية والعلاقات والظواهر الاجتماعية والنظم السائد في مجتمع معين وهذا بقصد التعرف على التساند الوظيفي والعلاقات المتبادلة بين تلك النظم للوصول إلى فهم ما يسمى بـ " البناء الاجتماعي " والذي يعرف على أنه " وحدة متماسكة أو نسق يتكون من أجزاء مترابطة يعتمد بعضها على بعض ويدخل كل جزء في عدد من العلاقات الضرورية المعقدة مع الأجزاء الأخرى . وهذا النسق تسوده درجة معينة من الترتيب والتماسك والثبات والاستقرار".[1] ويعرف آخرون البناء الاجتماعي بأنه " وحدة أو نسق اجتماعي (social system) مكون من أجزاء مترابطة ومنظمة ويسودها نوع من التماسك والترتيب والاستمرار أي تتكامل فيه الأجزاء وتتساند في كليات ويعتمد بعضها على بعض ، مما يتمخض عنه دوام العلاقات الاجتماعية المعقدة باعتبارها نتيجة لبناءات اجتماعية معينة " . [2]غير أن تكامل الأجزاء (أو الأنساق الفرعية) لا يتم على نحو مثالي ، وبالتالي فلا بد وأن تتكيف هذه الأجزاء مع المؤثرات الداخلية والخارجية في ضوء ميل عام يتجه نحو الاستقرار والقصور الذاتي . [3]

وقد حرص رواد النظرية البنائية الوظيفية التقليدية والمعاصرة على تحليل فكرة البناء الاجتماعي وتطوره تاريخيا وذلك بدراسته وتحليله من منظور تاريخي مقارن ، كما حاولوا الإستعانة بالكثير من تحليلات الأنثروبولوجيين من أمثال مالينوفسكي ورادكليف براون وكلود ليفي ستروس وغيرهم ممن استخدموا فكرة البناءات والأنساق وخاصة عند اهتماماتهم بطبيعة العلاقات المتبادلة بين الأنساق والنظم الاجتماعية مثل الأسرة والمدرسة والدولة والاقتصاد وغيرها من مكونات البناء الاجتماعي والتي يقوم كل منها بتحقيق وظائف وإشباع حاجات معينة . [4]

وقد تميز الإتجاه البنائي بأنه ليس تطوريا وليس تاريخيا ، حيث ركز على دراسة الثقافات الإنسانية كل على حدة في واقعها الحالي المكاني والزماني وهذا ما جعله يختلف عن الدراسات التاريخية لأنه اعتمد العلم

---

[1] مصطفى عمر حمادة ، الأنثروبولوجيا والضبط الاجتماعي . القانون – المجتمع – الثقافة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2012 ، ص 41.

[2] خالد حامد ، مرجع سابق ، ص 26 .

[3] السيد الحسيني ، نحو نظرية اجتماعية نقدية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985 ، ص 123 .

[4] خالد حامد ، المرجع نفسه ،ص 100.

في دراسة الثقافات الإنسانية كظاهرة يجب البحث في عناصرها والكشف عن العلاقات القائمة في ما بينها وبين الظواهر الأخرى . [1]

والملاحظ أن الوظيفيين يعارضون الاتجاهات التاريخية التي تنطوي عليها كل من النزعتين التطورية والانتشارية ، تلك الاتجاهات التي تحاول تفسير كل عنصر ثقافي إما بوضعه في إطار تطوري أو في سياق عملية تاريخية ملموسة تحدد الانتشار الثقافي . وحينما يعارض الوظيفيون ذلك فإنهم يعلنون في الوقت ذاته أن تفسير كل عنصر ثقافي يكمن فيما يؤديه هذا العنصر للكل وفي تسانده مع العناصر الأخرى التي تشكل الثقافة .[2]

هذا الاتجاه الجديد دفع الأمريكيين إلى إعادة فحص بعض الأسس التي تقوم عليها مدارسهم، حيث أعاد كرويبر فحص عناصر الثقافة بصورة أدق توصل من خلالها إلى طريقة مسح عناصر الثقافة التي تبتعد عن الوصف الميكانيكي لعملية النمو الثقافي والاهتمام بعملية التكامل والترابط الاجتماعي. ويعتبر كرويبر أن الناس يحكمون على الظواهر الثقافية السائدة في مجتمعهم بأنها طيبة أوسيئة في ضوء نسق القيم السائد ، كما أن ما يتقبله أحد الشعوب كعنصر في ثقافة قد يرفضه شعب آخر . [3]

أما عن مناهج البحث في النظرية البنائية الوظيفية فهي تعتمد على المنهج الوصفي، منهج التحليل الوظيفي والمنهج المقارن للوصول لتفسير الظاهرة المجتمعية، وهذا من خلال وصف الظواهرالاجتماعية ومحاولة توضيح ارتباطها بالنظم والأنساق التي تحيط بها ثم إرجاع الأنشطة الموصوفة إلى البناء الاجتماعي وتشخيص حاجات الأنظمة وفروعها وكيفية ارتباط هذه الحاجات ببعضها البعض ودورها في تكامل أجزاء البناء . وقد تستدعي بعض الدراسات مقارنة بين أوجه الشبه والاختلاف بين مجتمعات أو أنظمة مختلفة للوصول إلى نتائج موحدة أو مشتركة تسير الأنظمة الاجتماعية.

- رواد النظرية البنائية الوظيفية :

- برونسلاو مالينوفسكي Malinowsky Bronislaw (1884-1942) :

---

[1] فهيم حسين ، قصة الأنثروبولوجيا . فصول في تاريخ الإنسان ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1986 ، ص 164 .

[2] نيقولا تيماشيف ، مرجع سابق ، ص ص 322-323 .

[3] يحي مرسي عبد بدر ، أصول علم الإنسان الأنثروبولوجيا ، ج 1 ، دار الوفاء ، الاسكندرية ، ط1 ، 2007 ، ص ص 352- 353.

من بين الأنثروبولوجيين الذين قادوا الاتجاه الوظيفيفي الفترة مابين (1920–1940) بسبب التغيرات الجذرية في مجالات الأنثروبولوجيا الحضارية والاجتماعية ، استعمل الملاحظة بالمشاركة والتي تعد من بين التقنيات المستخدمة كثيرا اليوم في الدراسات الأنثروبولوجية ، وقد استغرقت دراسته الميدانية لقبائل التروبرياند بمنطقة ميلانيزيا مدة أربع سنوات وكان أول من استخدم لغة الأهالي في جمع المعلومات ، وأتاحت له هذه المدة الطويلة فرصة التعمق والتغلغــل في الحياة الاجتماعية عند تلك القبائل . [1]

لقد ذهب مالينوفسكي إلى أنه من الممكن " أن نربط – بشكل وظيفي – بين الاستجابات الثقافية المختلفة مثل الاستجابات الاقتصادية والقانونية والتعليمية والعلمية والسحرية والدينية من ناحية والحاجات البيولوجية من ناحية أخرى . فالتفسير الوظيفي للفن والترويح أو المراسيم العامة يمكن أن يرتبط بشكل مباشر بردود جسم الكائن العضوي للايقاع أو الصوت أو اللون أو الخط وارتباطاتها ". [2] كما أنه حلل المجتمعات البدائية بأسلوب آلي إلى عناصرها الأولية وفسر المؤسسات الاجتماعية بالنسبة إلى علاقتها بالمؤسسات الأخرى في المجتمع البشري الواحد ووضح أهميتها في إشباع وسد الحاجات الضرورية وخاصة البيولوجية منها .

استخدم مالينوفسكي في البنائية الوظيفية المماثلة البيولوجية لكي يوضح وظيفة كل عضو من عناصر البناء في المحافظة على البناء الكلي وتطوره . وتتمثل الفكرة الأساسية عنده في أن الحضارة كمرادف للثقافة هي ذلك الكل المترابط والذي ينبغي دراسته من خلال هذه الكلية ، أي أنه بهذا يستبعد فكرة " النماذج " الحضارية المستقلة والتي كان يأخذ بها بعض التطوريين .

وفي مؤلفه (النظرية العلمية الثقافية) ذهب مالينوفسكي إلى أن الأنثروبولوجيا الثقافية هي علم اجتماعي تعميمي وأكد على ضرورة الاستعانة بالاتجاه الوظيفي في البحث ، كما رفض الاتجاه الذي يربط كـــــل شيء بآخر . وفي تبريـــــره لرفضه هــذا دافع عن فكرة عزل النظـم عن بعضها البعض(ويستخدم النظام للإشارة إلى الجماعة الاجتماعية والمناهج التي تتبع لتحقيق فكرة عزل النظم) فكل نظام يؤدي في الواقع وظيفة اجتماعية على الأقل أو بعبارة أخرى يشبع حاجة إجتماعية مستقرة . [3]

---

[1] عاطف وصفي، مرجع سابق ، ص172.

[2] نيقولا تيماشيف ، مرجع سابق ، ص 329.

[3] علي غربي ، علم الاجتماع والثنائيات النظرية التقليدية – المحدثة ، جامعة منتوري قسنطينة الجزائر. مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة ، الجزائر، 2007 ، ص 83.

وقد توصل مالينوفسكي إلى نتيجة مؤداها أن البناء الاجتماعي لمجتمع التروبرياند قائم – أساسا – على مبدأ " المكانة القانونية " ، والمقصود بذلك أن واجبات الرئيس والتزاماته نحو تابعيه والزوج نحو زوجته والأب نحو إبنه لا تمارس بطريقة محددة ومنظمة تنصب على خدمات وقيود متبادلة وعليه أن يمتثل للمعايير الصارمة لمجتمعه ويعمل طبقا للشروط القانونية .

وفي ضوء ذلك ينظر مالينوفسكي إلى قواعد القانون على أنها التزامات أو واجبات تفرض على شخص معين وحقوق ترد لآخر ، وهي لا تفرض بواسطة باعث سيكولوجي بل عن طريق أداة إجتماعية محددة ذات سلطة ملزمة قائمة على الاعتماد المتبادل .[1]وطالب مالينوفسكي بضرورة إجراء " دراسات حقلية " تعتمد على الملاحظة بالمشاركة ، ومع أن مثل هذه الملاحظة لم تكن من ابتكار مالينوفسكي إلا أنه أصر على أن العمل الحقلي هو ركيزة المنهج الأنثروبولوجي . كما طالب أيضا بضرورة التخلي عن الأحكام التاريخية الظنية والاعتماد مباشرة على ما تسفر عنه الدراسات الميدانية .[2]

– راد كليف براون (1881 –1955) Radcliffe Brown Alfred :

قام الأنثروبولوجي البريطاني راد كليف براون بتشبيه الحياة الاجتماعية بالحياة العضوية متجنبا آراء دوركايم معتمدا بدلا منها الظروف الضرورية لوجود وبقاء الكائن الاجتماعي . وأجرى دراسات عميقة حول التمييز بين المرفولوجية الاجتماعية التي تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية الكامنة في البناء الاجتماعي والفيزيولوجية الاجتماعية التي تدرس جميع الظواهر الاجتماعية الكامنة في قطاعات المجتمع دراسة كلية مترابطة . [3] وكان براون يفسر الظواهر الاجتماعية في ضوء البنية الاجتماعية ويرى أن عناصر هذه الأخيرة لها وظائف للمجتمع ككل الذي يشار إليه بوصفه كيانا عضويا متكاملا ، كما تكون متنمطة ضمن علاقات اجتماعية يفسرها بأنها جوانب اجتماعية تتوافق مع قواعد أو معايير اجتماعية مقبولة .

يمكن القول أن دراسة رادكليف براون الشهيرة عن سكان جزر الاندمان هي أساس دراسة تستهدف التحقق الواقعي لافتراضات وفروض صاغها دوركايم تتعلق بمفهوم الوظيفة ، ولعل أهمها أن وظيفة الطقوس هي تحقيق التضامن الاجتماعي والإسهام في استمرار المجتمع محافظا على بقائه وتوازنه .

---

[1] مصطفى عمر حمادة ، الأنثروبولوجيا والضبط الاجتماعي . القانون – المجتمع – الثقافة ، مرجع سابق ، ص ص 38–39 .

[2] السيد الحسيني ، مرجع سابق ، ص 39 .

[3] صلاح الدين شروخ، مرجع سابق ، ص ص 153–154.

- كلود ليفي ستروس Lévi-StraussClaude(1908- 2009) :

أنثروبولوجي فرنسي ، يعد من رواد الفكر البنائي في الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، طور البنيوية في الأنثروبولوجيا وطبق المنهج التحليلي (البنيوي) بنجاح من خلال دراسته للأساطير. ويظهر الجانب البنيوي في نظريته من خلال ما لاحظه من مبادىء بسيطة وبأعداد محدودة تحكم التجمعات البشرية وأن كل تجمع من هذه التجمعات البدائية تحكمه ثلاث بنيات وتسمى كذلك بالقواعد وهي : بنية النسب ، بنية السكن أو المكان وبنية الميراث ، وعلى كل عنصر من أفراد هذه التجمعات التي تشكل بنية أن لا يخرج عن هذا النسق فهو مفروض فرضا إلزاميا على هذه التجمعات وعلى كل أفرادها . ولتوضيح ذلك عمق كلود ليفي ستروس من هذه البنيات من خلال دراسته كذلك للمحرمات (الزواج بين الأقارب يعتبر محرما في بعض القبائل ويعتبر غير ذلك في مجتمعات أخرى) والبحث في الأسس الثقافية لهذا الشكل من الزواج . [1]

ولقد حاول ستروس في كتابه " علوم الأساطير " أن يبين أوجه التشابه والإختلاف بين الأساطير الموجودة عند القبائل وهي قابلة للتأويل وللتغيير ويحكمها منطق ومقولات ويحكمها فكر يسمى فكرا أسطوريا. كما اقترح تطبيق البنيوية على علم الجمال من خلال دراسته للفنون التقليدية كالأقنعة التي كانت تستعملها هذه القبائل وأشكال التزيين والتجميل كثقب الأنف ، الأذن واللسان ووضع ألوان على الجسد وتعاويذ . كما قال ستروس ببنية الثقافة وحارب التمييز العنصري .[2]

- نقد النظرية البنائية الوظيفية :

تعد النظرية البنائية الوظيفية من أحدث النظريات التي لايزال معمولا بها حتى الآن ورغم هذا فقد تعرضت للنقد . ومن بين ما عورضت فيه هو كون التحليل البنائي الوظيفي أهمل تاريخ الإنسان ولم يبحث في أصول أو سيرورة الثقافة، كما أنه أهمل الجانب الفردي في الفعل الإنساني برده كل سلوك إنساني للأفعال الاجتماعية. إضافة إلى إهمالها للصراع والتغير الاجتماعي وتركيزها على التوازن والتكامل ، كما عيب على بعض نتائجها أنها قائمة على التخمين .

7- مناهج البحث الأنثروبولوجي :

تمهيد

[1] مصطفى تيلوين ، مرجع سابق ، ص97 .

[2] مصطفى تيلوين ، المرجع نفسه ، ص 98.

حاولت الأنثروبولوجيا كغيرها من العلوم الإنسانية من خلال مسيرتها الوصول إلى معرفة دقيقة مبنية على منهج علمي في دراسة وتحليل الشعوب والثقافات عبر مختلف أنحاء العالم. ومن خلال مختلف النظريات الأنثروبولوجية يلاحظ مدى التنوع في مناهج البحث ، لذا فإننا نجد في الدراسات الأنثروبولوجية معظم أنواع المناهج الاجتماعية من تاريخي إلى وصفي إلى تحليلي ومقارن .

ويعرف علماء المناهج المنهج بأنه " فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكــون بها جاهلين وإما من أجــل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين".[1]

فالمنهج إذن هو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة وللإجابة على الأسئلة والاستفسارات التي يثيرها موضوع البحث ، وهو البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى تلك الحقائق وطرق اكتشافها .[2] فإذا أجري البحث على مجموعة من البشر في الماضي البعيد أو القريب فسيتم تطبيق المنهج التاريخيوأما إذا أجريت الدراسة على مجموعتين من البشر أحدهما ضابطة والأخرى تجريبية فيكون المنهج التجريبي هو الأفضل للقيام بهذه الدراسة وأما إذا كانت الإشكالية أو الهدف من الدراسة هو وصف نظام ما (ديني،اجتماعي كالقرابة، الزواج ... الخ) في مجتمع معين فالمنهج الوصفي هنا يعد المنهج الأساسي المناسب لمثل هذه الدراسة.

وفي استخدامنا لأي نوع من أنواع المناهج نحتاج لطرق ولأدوات جمع المعطيات التي نقوم بتحليلها للإجابة على الأسئلة المطروحة . وتجدر الإشارة إلى أنه يمكن استخدام أكثر من منهج في دراسة واحدة كما يمكن استخدام أكثر من طريقة، والمعروف أن تعدد المناهج والطرق عادة مايزيد من قيمة الدراسة. وتعتمد الدراسات الأنثروبولوجية على عدة مناهج وأساليب خاصة في إجراء البحوث والدراسات الأنثروبولوجية وهي:

7-1- المنهج التاريخي :

في علم الإنسان يؤكد أصحاب المدرسة التاريخية على أهمية مفهوم التاريخ الثقافي الذي يكتسب معناه الحقيقي ودلالته الحقيقية في ضوء علم المناهج ، وتنقسم المناهج في هذا الصدد إلى قسمين قسم أنثروبولوجي وقسم وضعي تاريخي . أما القسم الأنثروبولوجي فهو يعطينا المداخل التي يمكن بواسطتها الكشف عن اعتبارات الزمان وصياغتها في تصورات ثقافية محددة ، أما القسم التاريخي فهو الوسيلة التي

---

[1] فضيل دليو وأخرون ، علم الاجتماع من التغريب إلى التأصيل ، دار المعرفة ، الجزائر ، دون سنة نشر، ص 154 .

[2] محمد شفيق ، البحث العلمي الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، 1998 ، ص 86.

بواسطتها ستصبح تلك النتائج منظورات تاريخية صادقة ومفيدة بالنسبة للشعوب التي ندرسها والنتاج النهائي لذلك كله هو التاريخ الثقافي .[1]

وتحتل الثقافة في الأنثروبولوجيا مكانة رئيسية ويعد البحث التاريخي للثقافة مطلبا هاما وحيويا بالنسبة للأنثروبولوجيا ، ويعكس هذا الاهتمام دراسة نشأة الثقافة وتطورها وأصولها وإعادة بناء تاريخ الثقافة ، وتقوم هذه الدراسة على أساس دراسة توزيع الخصائص الثقافية وتحليلها ثم التحقق من مدى إمكانية حدوث احتكاكات واتصالات بين الوحدات الثقافية ، بل يمكن أن تكشف أيضا التتابع الزمني الذي ظهرت فيه هذه الاحتكاكات والاتصالات .

ويعتمد علماء الأنثروبولوجيا والمهتمين بتاريخ الشعوب على ثلاث مصادر رئيسية هي الوثائق المكتوبة والتراث الشفهي والبحث الحقلي .

7- 2- المنهج الوصفي :

يعد المنهج الوصفي من المناهج العامة في الأنثروبولوجيا ، ويقصد به الطريقة المنتظمة لدراسة حقائق راهنة متعلقة بظاهرة أو موقف أو أفراد وأحداث أو أوضاع معينة في المجتمع بهدف اكتشاف حقائق جديدة أو التحقق من صحة حقائق قديمة وآثارها والعلاقات التي تتصل بها وتفسيرها وكشف الجوانب التي تحكمها.

ويهدف المنهج الوصفي إلى وصف الظاهرة محل الدراسة وتشخيصها وإلقاء الضوء على جوانبها المختلفة وجمع البيانات اللازمة عنها مع فهمها وتحليلها من أجل الوصول إلى المبادىء والقوانين المتصلة بظواهر الحياة والعمليات الاجتماعية الأساسية والسلوكيات الإنسانية . وغالبا ما يخرج فيها الباحث الأنثروبولوجي بمبادىء عامة عن البناءات والتنظيمات الاجتماعية والتغير الثقافي أو عملية الإقتباس ... إلخ .

7-3- المنهج المقارن :

يكتسب المنهج المقارن دلالة خاصة في البحث الأنثروبولوجي ، حيث يقصد به عادة دراسة توزيع الظواهر الاجتماعية في مجتمعات مختلفة أو أنماط محددة من المجتمعات ، وكذلك مقارنة النظم الاجتماعية الرئيسية من حيث استمرارها وتطورها والتغير الذي يطرأ عليها أو حتى مقارنة مجتمعات بعضها ببعض .

أما عن مجالات البحث المقارن في الأنثروبولوجيا فهي تتلخص في ما يلي :[2]

- دراسة أوجه الشبه والإختلاف بين الأنماط الرئيسية للسلوك الاجتماعي .

---

[1] مصطفى عمر حمادة، دراسات أنثروبولوجية في المجتمع ، مرجع سابق ، ص 36.

[2] مصطفى عمر حمادة ، دراسات أنثروبولوجية في المجتمع ، مرجع سابق ، ص ص38-39 .

– دراسة نمو وتطور مختلف أنماط الشخصية والاتجاهات السيكولوجية والاجتماعية في مجتمعات مختلفة وثقافات متعددة .

– دراسة النماذج المختلفة من التنظيمات السياسية والصناعية والمهنية في مجتمعات مختلفة .

– دراسة النظم الاجتماعية كنظم الزواج والأسرة والقرابة ، ثم دراسة الأنساق الثقافية مثل المعتقدات الدينية ودراسة العمليات التي تطرأ على المجتمع مثل التحضر والديمقراطية ودراسة النظم الفرعية مثل العادات والفلكلور.

– تحليل ومقارنة مجتمعات بأكملها ، فعادة ما تتم المقارنة بين المجتمعات وفقا للنمط الرئيسي السائد للنظم الاجتماعية والثقافية الموجود فيها .

7–4– المنهج البنائي الوظيفي :

بعد أن تطورت الأنثروبولوجيا في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى ظهرت اتجاهات جديدة تحاول أن تتجنب الصعوبات والمشكلات التي صاحبت استخدام وتطبيق المنهج المقارن تطبيقا تقليديا ، وبذلك ظهر ما يعرف الآن في الدراسات الأنثروبولوجية باسم " الاتجاه الوظيفي " الذي أخذ أصحابه يؤكدون على أنهم يدرسون الظواهر في إطارها الكلي .

حاول المنهج البنائي الوظيفي المزاوجة بين المنهج المقارن والاتجاه الوظيفي في الدراسات والبحوث الأنثروبولوجية حتى يتمكن من دراسة الظواهر الاجتماعية من سياقها الكلي من ناحية والتعرف على الأدوار والوظائف التي يؤديها كل نظام من النظم الاجتماعية من ناحية أخرى لمعرفة طبيعة البناء الاجتماعي للمجتمع ككل .

وحتى تتضح لنا صورة هذا المنهج نعطي مثالا لتلك الدراسة الأنثروبولوجية الحقلية الشهيرة التي قام بها مالينوفسكي حين استخدم المنهج البنائي الوظيفي في دراسة النشاط الإقتصادي الذي يمارسه سكان جزر التروبرياند والذي يعرف بنظام الكول kual system ، حيث يدخل سكان هذه الجزر مع بعض سكان الجزر المجاورة في نوع من التحالف أو الإتفاق بهدف تبادل أشياء وسلع معينة تتألف من " عقود " طويلة من الصدف الأحمر و " أساور " من الصدف الأبيض ، ويتألف نسق التبادل في أن العقود تنتقل من مجتمع لآخر في اتجاه واحد لا يتغير في محيط الدائرة التي تنظم تلك الجزر بينما تنتقل الأساور في الاتجاه المضاد، وهذه السلع لا تحمل قيمة عملية على الإطلاق بقدر ما لها من قيمة شعائرية وطقوسية كما أنها تتصل اتصالا وثيقا بالمركز الذي يحتله الفرد في المجتمع .[1]

[1] مصطفى عمر حمادة ، دراسات أنثروبولوجية في المجتمع والثقافة ، مرجع سابق ، ص ص40–41.

ويهتم المنهج البنائي الوظيفي اهتماما كبيرا ببناء الثقافة والعلاقة القائمة بين أجزائها ، كما يهتم أيضا بدراسة المجتمع والثقافة والعلاقات المتداخلة والمتشابكة بينهما والتي تتساند مع بعضها تساندا وظيفيا .

8- طرق وتقنيات وخطوات البحث الأنثروبولوجي :

تمهيد

إن البحث الأنثروبولوجي يعطي للباحث السبل والإجراءات التي يسترشد بها فيجمع المعلومات والبيانات من الميدان .والبحث الميداني تسمية تنسب إلى ذلك البحث الأنثروبولوجي أو الاجتماعي أو النفسي الذي يجعل من الميدان أو الحقل بمثابة مخبر لأبحاثه وتجاربه . فبعدما كان البحث الأنثروبولوجي يعتمد على التنظير كما هو الحال عند مورغان وفرانس بواس أصبح إمبريقيا تجريبيا ، أين يكون الباحث رجل ميدان وكأنه جزء من موضوع الدراسة وعنصر من عناصر أو أفراد تلك القبيلة يعايشهم .

ويعيد مختصي الأنثروبولوجيا أول دراسة ميدانية تعتمد على الملاحظة الحقلية المباشرة إلى سنة 1898–1899 والتي قام بها باحثون من جامعة كامبرج على شعوب مضايق توريس بالمحيط الهادي تحت إشراف هادون. وتتالت الدراسات والطرق والتقنيات المستخدمة بغرض الوصول لمعرفة موضوعية علمية ، ومن هنا جاء تحديد فترة الدراسة الأنثروبولوجية الحقلية بستة أشهر على الأقل مع العلم أن بعض الرواد نادوا بأكثر من سنة. كما أن بعض الباحثين أشاروا بضرورة تركيز الباحث في دراسته الميدانية على مجتمع واحد أو عدد قليل من المجتمعات ، وفي هذا الصدد يشير Maurice Godelierفي مقال له بعنوان " العمل الحقلي وأدواتهعند الأنثروبولوجي "إلىأنه " يجب على الأنثروبولوجي الغوص بعمق في المجتمع لمدة طويلة – عكس الصحافيين الذين يجنون ثمار عملهم في وقت قصير – فالزمن مهم بالنسبة للأنثروبولوجي من أجل فهم المجتمع ، الحياة الاقتصادية ، الاجتماعية والثقافية لأي جماعة محلية ". [1]

والجدير بالذكر أن اعتماد طرق وتقنيات للبحث الأنثروبولوجي سيكون ضمن خطوات ومراحل يمر بها البحث سنأتي إلى عرضها .

8-1- طرق وتقنيات البحث الأنثروبولوجي :

قبل أن يقوم الباحث بالدراسة الحقلية عليه أن يحدد نوع وشكل المعلومات التي يريد الحصول عليها سواء كمية أو كيفية وأن يحدد الأدوات التي يجمع بها هذه المعلومات، فهناك من البحوث التي يكتفى فيها بأداة أو طريقة واحدة وهناك ما تتعدد فيها الطرق ، وسنحاول فيما يلي أن نعرض أهمها:

[1]Jean-Loïc Le Quellec, L'Anthropologie pour tous. : Actes du colloque d'Aubervilliers,Saint-Benoist-sur-Mer , 2015,p 33 .

8-1-1-الملاحظة بالمشاركة: Participant observation/ L'observation participante

يعتبر الأنثروبولوجيون هم أول من مارس الملاحظة بالمشاركة وهذا من خلال عيشهم في وسط المجموعات البشرية بغية دراستها عن قرب . ومازالت هذه التقنية هي الطريقة الأشهر في الأنثروبولوجيا حيث لا نكتفي بملاحظة الناس الآخرين بل نشاركهم ، وبهذا فقط نتمكن من تحريك تجاربهم وفهمهم بكل تفصيل .[1]

إن للملاحظة بالمشاركة طموحات أكثر من الملاحظة من دون مشاركة لأنها لا تهدف فقط إلى تقديم عناصر عن الوضع بل إنها تتطلب الإندماج في مجال حياة الأشخاص ولا يتحقق ذلك إلا بقبول الباحث أو ايجاد دور له في المجتمع محل الدراسة ، وتطمح كذلك إلى استخراج المعنى الذي يمنحه لها الفاعلين الاجتماعيين . [2]يكمن الهدف إذن من هذه التقنية في الوصول إلى الفهم المعمق للوضع ومعانيه حتى يكون في استطاعة التحليل الموالي إدراك التجربة المعيشة للأعضاء بهدف فهم الوسط الذي يعيشون فيه بكل شموليات .

وعموما يحدد " ايفانز بريتشارد" Evans Pritchard" شروط نجاح الملاحظةبالمشاركة كالآتي:[3]

• أن يكون الباحث مختصا وله رصيد نظري كافي في ميدان الأنثروبولوجيا أو العلوم الاجتماعية.

• أن يتخلى الباحث عن قيمه وثقافته بقدر المستطاع حتى يحقق الملاحظة الموضوعية، وهنا نذكر أيضا أهمية طباع وخصائص شخصية الباحث نفسه لما تحمله الملاحظة المشاركة من مشاق (ظروف غير صحية أحيانا، اختلاف طريقة ووسائل الحياة، المأكل...).

• أن تكون فترة الملاحظة والاشتراك مع أفراد مجتمع الدراسة كافية لجمع المعلومات اللازمة بشكل جيد. ويحدد العلماء هذه الفترة على أقل تقدير بستة أشهر وهناك من يحددها بسنة على الأقل كراد كليف براون. وفترة الدراسة مرتبطة بعدة عوامل كطبيعة الإشكالية، حجم الجماعة وطبيعتها حيث توجد مجموعات يصعب الدخول فيها وتقصي معلومات حولها . وقد لقي العديد من الباحثين الرفض من طرف الجماعات المراد دراستها ويكفي كمثال بريتشارد نفسه والصمت الذي لاقاه لفترة زمنية طويلة في قبائل النوير Nuer بالسودان.

---

[1]Michael Wesch, op ,cit , p .12

[2] موريس أنجرس ،منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية تدريبات عملية ، ترجمة : بوزيد صحراوي ، كمال بوشرف وسعيد سبعون ، دار القصبة للنشر، الجزائر ، ط 2 ، 2006 ، ص 185 .

[3] عاطف وصفي ، مرجع سابق ، ص ص167-168.

• أن يعمل الباحث على الحفاظ على علاقات طيبة مع الأهالي طيلة مدة دراسته وهذا من خلال مشاركتهم في معظم جوانب حياتهم الاجتماعية.

• أن يستخدم الباحث ما استطاع في حديثه لغة مجتمع الدراسة إذ كثيرا ما يفشل المترجمين في نقل الأفكار والمعاني بدقة كاملة.

• أن يدرس الباحث كل جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية حتى وإن كان يدرس موضوعا بعينه لترابط المواضيع الاجتماعية فيما بينها.

• عدم التحيز في نقل بعض المعلومات دون أخرى، أي أن لا يخضع العمل لأهواء الباحث بل يجب التحلي بالموضوعية لأقصى حد ممكن وهذا بالإسراع بتدوين المعلومات.

• الحرص حين نقل ووصف وتحليل الثقافة المدروسة من لغة مجتمع الدراسة إلى لغة الباحث نفسه أي أن يبين ويشرح معنى الظواهر الاجتماعية والثقافية التي لاحظها وأن يبرز هذا المعنى بوضوح.

8-1-2- المقابلة غير الموجهة : / Entretient non directifunguided interview

أداة أخرى تستخدم أثناء الدراسات الميدانية وهي تعزز الملاحظة بالمشاركة . تعتمد هذه التقنية على مقابلة بعض أفراد مجتمع الدراسة وطرح بعض الأسئلة العامة عن ثقافة أو حياة هذا المجتمع دون توجيه إجابتهم وجهة معينة. ويسمح هذا النوع من المقابلات بجمع كمية مهمة من المعلومات لأن الإجابة عادة ما تكون مطولة ويشترط في تطبيق هذه التقنية :[1]

- كسب الباحثثقة المستجوبين بشكل يتأكد معه أن إجاباتهم غير مزيفة منمقة أو كاذبة ويتأتى ذلك من خلال توفير جو من التقبل والألفة وعدم التكلف والتواضع للباحث بحيث أنه يظهر احترامه للمبحوث ولآرائه .

- إستخدام لغة سهلة ومفهومة للمبحوث .

- عمومية الأسئلة وعدم توجيهها ، أي أن الباحث لا يفرض على المبحوث فكرة معينة ولا يوحي له برأي محدد ولا يوجه له نقدا أو استنكارا أو اشمئزازا تجاهه أو اتجاه إجاباته .

- مراعاة أن المستجوبين هم الأفراد المناسبين الذين يحققون الغرض من المقابلة .

- يجب تفادي وجود أفراد أغراب أثناء المقابلة لتجنب الإحراج .

- يراعي الباحث التسلسل والتدرج في توجيه الأسئلة من العام إلى الخاص فالأكثر تخصصا وألا يتضمن السؤال الواحد أكثر من فكرة واحدة .

---

[1] محمد شفيق ، مرجع سابق ،ص ص 125-127.

– عدم مقاطعة المستجوب أثناء إجابته وإعادته للموضوع في حال إسترساله في الحديث ، معناه أنه يجب أن تكون المقابلة في شكل مناقشة دون إلقائها جامدة وتوجيهها بأسلوب التحقيق أو التهكم أو الإيحاء .

– ملاحظة كافة ردود فعل المبحوث على الأسئلة وانفعالاته واستجاباته .

– تسجيل الإجابات وتدوينها أمام المبحوثين خاصة إذا اكتسب ثقتهم، مع إمكانية الاعتماد على الآلات الحديثة لتسهيل تحليل المعطيات فيما بعد.

وعموما تمتاز هذه الطريقة بأنها تعزز بصورة كبيرة ما يحصل عليه الباحث من معلومات خلال ملاحظاته.

8-1-3- المقابلة الموجهة : Guided interview / entretien directif

تشبه إلى حد كبير المقابلة غير الموجهة من حيث أنها لقاء يجمع الباحث بالمبحوث ، ومن خصائص هذة التقنية ما يلي :

– تكون الأسئلة في هذه الطريقة موجهة ومحضرة مسبقا، تحتاج إلى إجابات محددة في مواضيع أو أفكار معينة.

– يجب على الباحث أن يطرح الأسئلة بأسلوب محايد لا يؤثر به على إجابات المبحوثين .

– تكون إجابات المبحوثين غير مطولة تبرز عادة إبداء الرأي بالموافقة أو الرفض، تقييم حالة معينة ...الخ.

والحري بالذكر أن هذه الطريقة تستخدم بشكل أكبر في المجتمعات المتمدنة التي ألف أفرادها هذا النوع من الاستجوابات القائمة على الأسئلة والأجوبة المباشرة غير أنها تقل في المجتمعات البدائية لما تخلقه في نفس المبحوث من تخوف وشكوك.

8-1-4- الاعتماد على المخبرين أو(الإخباريين) : les informateurs

قد يلجأ الباحث إلى استخدام ما يعرف بالمخبرين أو المرشدين les informateurs الذين يكونون في العادة من السكان الأصليين للمجتمع المدروس وذلك لجمع بعض المعلومات المتعلقة بالمنطقة المدروسة وتعريفه بمختلف ظواهرها ، كما يكون لهم دور في تعليم الباحث لغة الأهالي أو تسهيل التعامل مع أفراد مجتمع الدراسة، أوجمع معلومات جينيالوجية حول سلاسل النسب والقرابة. ومن بين المواد التي تفيد الباحث الأنثروبولوجي والتي يحصل عليها من بعض الاخباريين تلك المادة المسجلة سواء كانت صورا فوتوغرافية أو أشرطة تسجيل أو أفلاما يمكن أن تفيد الباحث في إجراء بحثه والإلمام بعناصر البناء الاجتماعي لمجتمع بحثه .

ويشترط في المخبر مجموعة من الصفات التي يجب يتصف بها كالذاكرة القوية، الوثوق به ، المقدرة على التخاطب بلغة الباحث، الخبرة الخاصة أو المكانة الاجتماعية وأحيانا السن .

8-1-5- تاريخ حياة الفرد (سيرة الحياة) : Histoire de vie Life history

إن سيرة الحياة هي نوع من المقابلة تستعمل بصفة خاصة من طرف المؤرخين والأنثروبولوجيين وعلماء الاجتماع بهدف جعل شخص ما يروي كل حياته أو جزء هام منها مع الأخذ بعين الاعتبار الإطار الاجتماعي الذي عاش فيه .[1]

ويستخدم الأنثروبولوجيون هذه الطريقة أثناء الدراسة الميدانية وهي تقوم على تدوين أهم الأحداث التي مرت في حياة شخص عادة ما يكون مسنا أو له مركز اجتماعي ، حيث يقص هذا الأخير على الباحث تاريخ حياته أو يقدم له معلومات حول جينيالوجيا القبيلة حسب ما تناقلته الأجيال (أي دراسة أصول وفروع قبيلة أو عائلة معينة) ، أهم الأحداث التي عرفتها القبيلة أو الجماعة ...الخ.

وأهم ما يراعى عند استخدام هذه الطريقة التي تأخذ وقتا طويلا تبادل الثقة بين الباحث والراوي لأنها الوسيلة الوحيدة لضمان الموضوعية في المعلومات المسرودة ، وتتطلبحسن الإنصات من الباحث والربط بين مختلف الحوادث وإعادة طرح بعض الأسئلة أوتعديد مصادر المعلومات والمقارنة بينهم وعدم الاكتفاء بمصدر واحد.

8-1-6- دراسة الحالة : Case Study Method

وهي تمثل أداة تحليلية للسلوك والمواقف الاجتماعية وطريقة التعمق الكيفي في فهم الظواهر . والحالة التي يدرسها الباحث قد تكون شخصا أو جماعة مثل الأسرة أو مجتمع محلي ، والهدف من دراسة الحالة هو البحث التفصيلي لكافة جوانب الحالة المراد دراستها ، ومن ثم يحاول الباحث أن يجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن هذه الحالة وبخاصة تلك المعلومات التي تتصل بتاريخ حياة الحالة وتطورها .

ويمكن استخلاص أهم خصائص دراسة الحالة على النحو التالي :[2]

أ- الحصول على معلومات شاملة عن الحالة المدروسة .

ب- التحليل الكيفي للظواهر والحالات .

ج- الاهتمام بالموقف الكلي وبعملياته وبكل العوامل المؤثرة فيه .

د- الطريقة تتبعية ، أي أنها تعتمد على عنصر الزمن ومن ثم فهي تهتم بالدراسة التاريخية .

هـ- الإتصاف بالديناميكية لا يقتصر على بحث الحالة الراهنة .

و- السعي إلى تكامل المعرفة لأنه يعتمد على أكثر من أداة للحصول على المعلومات .

8-1-7- الاختبارات النفسية: Test Psychologique/ Psychological test

---

[1] موريس انجرس ، مرجع سابق ، ص 197.

[2] مصطفى عمر حمادة ، دراسات أنثروبولوجية في المجتمع و الثقافة ، مرجع سابق ، ص ص 45-46 .

تستخدم الاختبارات النفسية أثناء الدراسات الميدانية في الأنثروبولوجيا وذلكمن أجل تحديد خصائص شخصية أفراد المجتمع محل الدراسة. ومن أمثلة هذه الاختبارات اختبار رورشاخ Rorschach test الذي ينسب لصاحبه هيرمان رورشاخ Hermann Rorschach ، ويقوم على وصف ما يتصوره الشخص من أشكال عندما ينظر إلى عشر لوحات بكل واحدة منها صورة مكبرة لبقعة حبر في شكل غير منتظم ، وعلى أساس ما يقرره الشخص يمكن التوصل إلى تحديد بعض خصائص شخصيته. والجدير بالإشارة أن هذه الطريقة استخدامت كثيرا عند الأنثروبولوجيين الثقافيين – دون الاجتماعيين – كونهم اهتموا بتحديد العلاقة بين الشخصية والثقافة .

8-1-8- الاستبيان أو الاستمارة : Questionnaire

هي تقنية تستخدم في جمع المعلوماتيعمل بها الأنثروبولوجيون خاصة في المجتمعات أو مع الأفراد القادرين على القراءة والكتابة وذلك من خلال طرح عشرات الأسئلة على المبحوثين تتناول موضوعا محددا أو جوانب عدة من حياة الأفراد بطريقة موجهة ذلك لأن صيغ الإجابات تحدد مسبقا ، وقد يحدث أن يوزع الباحث استماراته ثم يجمعها بعد فترة زمنية أو قد يقرأ هو بنفسه الأسئلة على الشخص المبحوث ويسجل إجاباته، مع مراعاة عدم التأثير على المجيب سواء من خلال طريقة القراءة أو التركيز على خيار دون آخر...الخ بحيث يمكن ملؤها بسرعة وتفريغها في جداول ، هذا ما يسمح بالقيام بمعالجة كمية بهدف اكتشاف علاقات رياضية وإقامة مقارنات كمية .[1] والمعروف في العادة أن هذه التقنية تستخدم هذه الطريقة مع العينات الكبيرة.

ومن مزايا هذه التقنية : قلة التكلفة ، سرعة التنفيذ ، تسجيل السلوكات غير الملاحظة ، إمكانية مقارنة الإجابات ، التطبيق على عينة كبيرة . ومن عيوبها : التزييف الإرادي للأقوال ، المعلومات الموجزة أو رفض الإجابة .

هذه بصفة عامة أهم الطرق والأدوات المستخدمة في جمع البيانات الأنثروبولوجية، مع الإشارة إلى أن اختيار هذه الأدوات يرتبط بطبيعة موضوع الدراسة ، فهناك مواضيع تستدعي استخدام وسائل خاصة للحصول على معطيات مادية كالآلات الفوتوغرافية وآلات التسجيل بأنواعها ومواضيع تعمتد على جمع وثائق ومخطوطات ومستندات .

8-2 – خطوات البحث الأنثروبولوجي :

يمر البحث الأنثروبولوجي بمجموعة من الخطوات يمكن إيجازها فيما يلي :

[1] موريس انجرس ، مرجع سابق ، ص 204 .

أ- تحديد مشروع البحث أو الدراسة وهذا من خلال تحديد موضوع ومجتمع البحث أو ما يعرف بمشكلة البحث وذلك من خلال (أسئلة، أهداف، أهمية الدراسة ومنهج الدراسة) وكذا قراءة التراث النظري السابق حول موضوع ومجتمع الدراسة أو ما أمكن الحصول عليه وهذا طبعا بهدف تطوير الفروض وطريقة الدراسة.
ب- تحديد طرق البحث المناسبة والتقنيات المستخدمة والتي عادة ما ترتبط بطبيعة موضوع الدراسة وتتلخص فيما ذكر سابقا. ثم يتم النزول للميدان لإجراء الدراسة الحقلية.
ت- تحليل النتائج المتوصل لها سواء كانت كمية أو كيفية وهذا مرتبط بطبيعة أداة البحث.
ث- تقديم النتائج مع الحرص على ذكر كل الجزئيات المتعلقة بالدراسة.

9- الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قبل الاستقلال :

ظهرت الأنثروبولوجيا بالجزائر مع الاستعمار الفرنسي، إذ سخرتها المنظومة الكولونيالية الفرنسية من أجل استعمار البلاد وبسط نفوذها والسيطرة على خيراتها ، حيث دفعت لهذه المهمة بعدد من الإداريين والعسكريين في البداية ، وكذا بعض الأنثروبولوجيين من أجل دراسة ثقافة المجتمع الجزائري وعاداته ومعتقداته ولغته وأعرافه وطريقة عيشه وتدينه ، والتنقيب في تركيبته الاجتماعية والثقافية وبنياته الدينية والاقتصادية وتقديم كل هذه المادة للإدارة لاستغلالها وتوظيفها من أجل التحضير لاستراتيجية استعمارية تتماشى وأهدافها في تفتيت البنى والروابط الاجتماعية للشعب الجزائري من جهة ، ثم السيطرة على مقدراته وخيراته وإبقاء النظام الاستعماري بعد ذلك .

ومراعاة لروح الموضوعية في الطرح ، لا بد من" الاعتراف أنه توجد أعمالا ضخمة أنارت لوقت طويل أجيالا من الدارسين، مثل : ج سارفيي **J.Servie** ، تيون **G.Tillon** ، أ.مسكيراي **E. Mesgueray**، لاوست ، **E.laoust** ، بيرك **J.Berque** ، بورديو **P.Bordieu** وغيرهم . فقد أوجد ج .سارفيي من خلال أعماله امتدادات عالمية للحضارة الزراعية في المغرب ، واستطاع ج . تيون **G.Tillon** كشف ما هو أكثر ديمومة في بناء العائلة والقبيلة ، والمقصود هنا هو الزواج الداخلي.
وكذلك ما قام به البعض في مجال جمع التراث الشعبي الأدبي، خصوصا منه الشعر الملحون .
فالمعرفة العلمية للجزائر كما وصفها لوكاس **lucas** – وفاتان **vatin** كانت قبل كل شيء وظيفة الاحتلال وبدأت مع العسكريين وبهم . [1]

[1] philippe lucas et jean claude vatin: l'algeriedes anthropologues, maspéro, paris, 1982, P13

ويشير صاحب كتاب " جزائر الأنثروبولوجيين " إلى أن الاكتشاف العلمي للجزائري هو إذن قبل كل شيء متوقف على الاحتلال، وقد شرع فيه حقا بواسطة العسكريين . وقد تم جمع معطيات في قرابة أربعين مجلدا بين 1844 و 1867 على شكل تحريات ، وقد اضطلع العسكريون بنصيبهم في هذا التحري وكان على رأسهم كاريت وبولوسيي **carette et pelissier** .[1] ويذهب المؤرخ الفرنسي شارل أندير جوليان– في هذا الصدد إلى أنه وإلى غاية سنة 1847 لم يكن بين أيدي السلطة المحتلة في الجزائر سوى تقريرين رسميين كان يمثلان أهم ما يمكن معرفته عن الجزائر.[2]

ويذهب بلقاسم بن زنين الذي قدم قراءة قيمة لكتاب " جزائر الأنثروبولوجيين " إلى أنه وبغض النظر عن بعض أعمال العسكريين التي كانت عبارة عن مذكرات لم توجه بشكل مباشر لخدمة الاستعمار، فقد كان من أول ثمار أعمال العسكريين كتاب الضابط **Merle** وعنوانه " طرق تاريخية وسياسية للإفادة في تاريخ غزو الجزائر سنة 1830 " طبع سنة 1831 ثم أعيد طبعه سنة 1832 ، وكتاب آخر للنقيب روزت **Rozet** الذي كان في نفس الوقت جغرافيا " رحلة إلى مدينة الجزائر أو وصف بلد محتل من طرف الاستعمار الفرنسي في إفريقيا " طبع في 1833 . والملاحظ من هذه الكتابات الأولى أنها كانت مقتصرة على مدينة الجزائر، ثم سرعان ما توسعت فيما بعد لتشمل المناطق المجاورة خاصة متيجة ثم منطقة القبائل في مرحلة لاحقة باعتبارها تمثل خصوصية ثقافية متميزة وتنظيما اجتماعيا مغايرا لما وجده الفرنسيون في الجزائر العاصمة.[3]

إن الكتابات الأنثروبولوجية للعسكريين الفرنسيين حول المجتمع الجزائري لم تكن في أغلبها سوى أوصاف انطباعية عادة ما اتسمت بالسطحية والسذاجة فقد تم بين سنوات 1844 و 1867 وضع ما يقارب الأربعين مجلدا، جمع اغلبه العسكريون، وشاركهم جمعها غيرهم من الاثنولوجيين والأنثروبولوجيين، والمهتمين بالأنماط الثقافية المحلية، قدمت صورة مختلفة الأبعاد متشعبة زوايا النظر عن إنسان شمال إفريقيا العربي أو البربري [4] .

---

[1] فيليب لوكا جان كلود فاتان : جزائر الأنثروبولوجيين، نقد السوسيولوجيا الكولونيالية، ترجمة د. محمد يحياتن ، منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال، الجزائر، 2002 ، ص09 .

[2] شارل أندريه جوليان : تاريخ الجزائر المعاصرة ، باريس ، 1964 ، ص56 .

[3] بلقاسم بن زنين : الجزائر في الفكر الأنثروبولوجي(مخطوط)، رسالة ماجستير في الأنثروبولوجيا ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم الثقافة الشعبية ،2001 – 2000 ، ص ص 19– 20.

[4] philippe lucas et jean claude vatin , op.cit,P13 .

كما أن حوليات بوليسيي ورينو الجزائرية **Les annales algeriennes**) كانت تمثل الاحصائيات الأولى المنتظمة التي بفضلها يمكن استقاء المعلومات وصياغة استراتيجية هيمنة الدولة الاستعمارية .[1] ظهرت أنثروبولوجيا القطيعة كاتجاه ضد الأنثروبولوجيا الانقسامية في كل مبادئها، لأنها اكتشفت أن المجتمع الجزائري هو مجتمع لا يمكن تطبيق عليه الانقسامية القبلية، وهو ليس بمعزل عن الحداثة وعن التفكير، وقد مثله أنثروبولوجيون أمثال جاك بيرك J.Berque وبيار بورديو P.Bourdieu وجرمين تيون G.Tillionوغيرهم. وأهم أساس لأنثروبولوجيا القطيعة هي دراسة المجتمع المغاربي والجزائري بالخصوص بطريقة حيادية دون الحكم عليه ، وكذا نفي تبعيته للاستعمار، حيث يقول" جين موزيه" J.Mouzet في كتابه " L'Algerie Kabylis " : " الجزائر البدوية التي كانت فيما سبق قوية جدا لم تعد موجودة ، أو على الأقل لم تعد لها أي أهمية، الجزائر الآن حضرية بنسبة 95 % ، التصنيف القديم بين البدو والحضر لم تعد له أية أهمية أيضا تماما مثل التصنيف الجزائر التقليدية والجزائر المتطورة، في الواقع من الظاهر أن الجزائر التي يقال عنها تقليدية هي التي تغيرت بها ظروف العيش أكثر وعكس ذلك الجزائر التي يقال عنها متطورة هي التي ينبعث فيها الماضي بكل قوة في بعض الأحيان ".[2]

من هذا القول يتبين لنا أن نظرة المفكر " جين موزيه" في أنثروبولوجيا القطيعة ركزت على الازدواجية المتداخلة بين التقاليد والحداثة، وأن المجتمع رغم حالة الاستعمار التي يعيشها هو في حالة من الحداثة تتضمن في كنف التقاليد والتي تظهر في النظرة السابقة أنها ضعيفة إلا أنها قوية.

من هنا جاءت الدراسات الأنثروبولوجية لتركز على المواضيع الدالة على قوة التقاليد مثل أهمية الشرف عند القبائل، الكرامة، التضامن القبلي، المرأة ومكانتها، هذه القيم كلها تساهم في خلق الانسجام داخل الجماعات والقبائل وتعبر عن الثقافة والحياة الاجتماعية.

- **ألفرد بل ودراسته لمساجد بني سنوس بتلمسان :**

يعتبر محمد حمداوي دراسة " ألفرد بل " دراسة قيمة بما تحمله من وصف دقيق لمساجدها ولسكان المنطقة ، غير أنها بحكم أنها كانت موجهة للسلطة الفرنسية الاستعمارية وإن كانت نوايا " بل "حسنة وغرضه المحافظة على المساجد الأثرية والعتيقة والمحافظة عليها بترميميها، إلا أن السلطة الاستعمارية تجاهلتها، ولكن في نفس الوقت استغلت دراسة " ألفرد بل " لتسهيل التحكم في المساجد بتعيين أئمة رسميين يقومون بممارسات سلبية كسرقة أموال الوقف ، وهذا ما يشير إليه ألفرد بل بقوله : " يجب الاعتراف بأن هذه

---

[1] فيليب لوكا جان كلود فاتان ، مرجع سابق ، ص ص 12 – 11 .

[2] فيليب لوكا وجان كلود فاتان ، مرجع سابق ، ص 277.

المصلحة (الحبوس) التي يسهر عليها المسلمون، لم يكن يُعهَد بها دائماً إلى موظفين منضبطين ونزهاء وأنه عادةً ما كانت أموال الحبوس تُختَلس من طرف الموظفين المسلمين الذين كانت
تُوكَل إليهم مهمة حفظها " .[1] ولكن ما يعاب عليه أنه أطلق حكما عاما وشاملا ولم يستثن بوجود أئمة آخرين نزهاء وشرفاء. وبالتالي تعتبر دراسة " بل " ذات قيمة علمية إلا أنها بحكم ارتباطها بالاستعمار جعل المفكرين الآخرين ينظرون إليها نظرة سلبية إن لم نقل إهمالها.

- بيار بورديو ودراسته للمجتمع القبائلي:

يمثل بورديو أحد رواد اتجاه القطيعة في الأنثروبولوجيا، استطاع التغلب على التعارض والجدل الدائر حول العلاقة بين البناء والفعل وانشغاله بالعمل الإمبريقي التطبيقي المنتظم، والاستناد إلى الإثنوغرافيا وأساليب المسح الاجتماعي والتنظير النقدي ، بالإضافة إلى قطيعته مع المعرفة الاستعمارية وهذا ما يميزه عن ألفرد بل حيث أن بحوث ألفرد بل كانت موجهة أما بورديو فقد كانت دراسته حول القيم القبائلية كالشرف علمية وموضوعية .وقد وظف من خلال دراسته الميدانية واستنتج مفهوم" الرأسمال الثقافي والرأسمال الرمزي"، وقد ركز عليه بورديو باعتباره قابل للتحول إلى رأسمال مادي أو اقتصادي، وهذه السمة في رأيه عامة في كل المجتمعات البدائية والحديثة على السواء ولا يوجد مجتمع بدونها.

وبناء على ذلك فإن الرأسمال الثقافي هو أنساق رمزية وهو موضوع صراع بين القوى الاجتماعية المختلفة ، وهدف كل قوة اجتماعية في صراعها الاجتماعي إلى الهيمنة على حقل الثقافة وإنتاج وتوزيع رأسمال الثقافي فيه وذلك بغية احتكار العنف الثقافي في المجتمع أي احتكار قدرة فرض معاني ومبادئ بناء الوقائع الاجتماعية وفق مصالح هذه القوة الاجتماعية وتحويل ما تمتلكه من رأسمال مادي إلى رأسمال ثقافي كغطاء مقبول ومشروع تحمي به مصالحها الاقتصادية .[2] ومثال ذلك الرجل الذي يتمتع بالسمعة والحسب والنسب يستطيع أن يذهب إلى السوق بلا مال ويأتي معه بأشياء من السوق معتمدا على اسمه وسمعته وجاهه.

ومنه فإن دراسة كل من ألفرد بل وبيار بورديو وإن اختلف موضوعها إلا أنهما يختلفان من حيث الإيديولوجية التي كانت تتحكم في دراستها ، فإيديولوجية " بل " كانت موجهة من قبل الاستعمار، رغم علميتها، وبورديو كانت في قطيعة مع الاستعمار وإيديولوجيته مما جعلها أكثر علمية من دراسة ألفرد بل.

---

[1] ألفريد بل، بني سنوس ومساجدها في بداية القرن العشرين دراسة تاريخية أثرية، تعريب : محمد حمداوي، الجزائر، موفم للنشر، 2011 ، ص 57 .

[2] بدران شبل والبيلاوي حسن ، علم الاجتماع التربية المعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط 02 ، 2003 ، ص 108.

الخاتمة :

في ختام هذا العمل المتواضع يمكن القول أن الأنثروبولوجيا هي عبارة عن علم تراكمي متعدد المشارب ساهمت فيه العديد من العلوم الإنسانية والاجتماعية عبر عصور متعاقبة ، واختلفت موضوعاتها حسب

الظواهر المراد دراستها والتي تنصب جميعها حول عنصر رئيسي وهو الإنسان الإطار الوحيد الذي يمثل محور الاهتمام في مواضيع الأنثروبولوجيا ، أما الزمان والمكان فلا يقيدان دراسته .

إن الأنثروبولوجيا هي علم توفيقي تشترك في دراسته العديد من العلوم والمعارف كعلم الاجتماع وعلم النفس والاقتصاد والتاريخ والسياسة والبيولوجيا وغيرها ، وهذا ما أعطى دفعا قويا في تطور هذا التخصص العلمي الذي يبقى مستقلا بذاته عن بقية هذه العلوم نظريا وتطبيقيا . هذا الأمر أسس لبروز الكثير من التقسيمات والفروع لهذا العلم كالأنثروبولوجيا الفيزيقية والأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية والأنثروبولوجيا النفسية والأنثروبولوجيا التطبيقية ... إلخ . كما أسس أيضا لظهور العديد من المدارس والتيارات النظرية التي تعنى بدراسة مواضيع الأنثروبولوجيا رغبة منها إلى الوصول إلى قوانين علمية ثابتة ومن ثم محاولة التنبؤ بالسلوك الإنساني وبتطور الثقافة الإنسانية . ومن بين هذه النظريات النظرية التطورية والانتشارية والبنائية الوظيفية والبنيوية .

ومما زاد من حيوية الأنثروبولوجيا هو اعتمادها على الدراسات الميدانية أوالحقلية بصفتها الأداة المثلى للوصول إلى الحقائق العلمية ولإثبات ماجاءت به النظريات الأنثروبولوجية . ولازالت الأنثروبولوجيا تقدم الكثير من الدراسات الاثنولوجية والاثنوغرافية والنتائج المهمة خاصة في ظل العولمة وما أحدثته من تغييرات مست كل الأنساق السوسيوثقافية والاقتصادية والسياسية وغيرها .

قائمة المراجع :

أولا : المراجع باللغة العربية :

1- أبو هلال أحمد ، مقدمة في الأنثروبولوجيا التربوية ، المطابع التعاونية ، عمان ، 1974.

2- أحمد أبو زيد ، ميرفت العشماوي عثمان وفادية فؤاد حميدو ، اثنوجرافيا المجتمعات الافريقية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2012 .

3- أحمد الخشاب ، سكان المجتمع العربي دراسة تكاملية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، مصر ، بدون سنة نشر.

4- الجيوشي فاطمة ، فلسفة التربية ، جامعة دمشق ، سوريا ، 1987 .

5- الجيوشي فاطمة والشماس عيسى ، التربية العامة ، جامعة دمشق . كلية التربية ، سوريا ، 2002 .

6- السيد الحسيني ، نحو نظرية اجتماعية نقدية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985 .

7- ألفريد بل، بني سنوس ومساجدها في بداية القرن العشرين دراسة تاريخية أثرية، تعريب : محمد حمداوي، الجزائر، موفم للنشر، 2011 .

8- بدران شبل والبيلاوي حسن ، علم الاجتماع التربية المعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط 02، 2003 .

9- بلقاسم بن زنين : الجزائر في الفكر الأنثروبولوجي(مخطوط)، رسالة ماجستير في الأنثروبولوجيا ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم الثقافة الشعبية ، 2000 -2001 .

10- حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، الثقافة ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 2006 .

11- حسين عبد الحميد أحمد رشوان ، الأنثروبولوجيا في المجال النظري ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط 1 ، 1988.

12- خالد حامد ، مدخل الى علم الاجتماع ، جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 2 ، 2012 .

13- دلال ملحس استيتية ، التغير الاجتماعي والثقافي ، دار وائل ، عمان ، ط 2 ، 2008 .

14- عاطف وصفي ، الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، دون سنة نشر.

15- عبد الرحمان عدس ، مبادىء الإحصاء لبرنامج الأعمال الإدارية والمالية ، دار الفكر ، عمان ، 1989 .

16- علاء الدين أحمد كفافي وآخرون ، مقدمة في علم النفس ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2009.

17- علي غربي ، علم الاجتماع والثنائيات النظرية التقليدية – المحدثة ، جامعة منتوري قسنطينة الجزائر. مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة ، الجزائر، 2007 .

18- سعاد علي حسن شعبان ، الأنثروبولوجيا الثقافية لإفريقيا ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، مصر ، 2004 .

19- شارل أندريه جوليان ، تاريخ الجزائر المعاصرة ، باريس ، 1964 .

20- شاكر مصطفى سليم ، مدخل إلى علم الإنسان ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1975 .

21- صلاح الدين شروخ ، مدخل في علم الاجتماع ، الجزائر ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2005 .

22- فضيل دليو وأخرون ، علم الاجتماع من التغريب إلى التأصيل ، دار المعرفة ، الجزائر ، دون سنة نشر .

23- فهيم حسين ، قصة الأنثروبولوجيا . فصول في تاريخ الإنسان ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1986.

24- فيليب لوكا جان كلود فاتان : جزائر الأنثروبولوجيين، نقد السوسيولوجيا الكولونيالية، ترجمة : محمد يحياتن ، منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال، الجزائر، 2002 .

25- لطفي عبد الحميد ، الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، دار المعارف ، القاهرة ، 1979 .

26- لينتون رالف ، الأنثروبولوجية وأزمة العالم الحديث ، ترجمة : عبد المالك الناشف ، المكتبة العصرية، بيروت ،1967.

27- محمد الجوهري وآخرون ، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا ، القاهرة ، 2007 .

28- محمد راتول ، الإحصاء الوصفي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2006.

29- محمد شفيق ، البحث العلمي الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ،1998 .

30- محمد عبده محجوب ، الانثروبولوجيا الاجتماعية . دراسات نظرية وتطبيقية ، دار المعرفة الجامعية، مصر ، 2006 .

31- محمود سلمان العميان ، السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال ، دار وائل ، عمان ، ط 1 ، 2002 .

32- مصطفى تيلوين ، مدخل عام في الأنثروبولوجيا ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2011.

33- مصطفى عشوي ، مدخل الى علم النفس المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط 2، بدون سنة نشر.

34- مصطفى عمر حمادة ، ، دراسات أنثروبولوجية في المجتمع والثقافة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2012 .

35- مصطفى عمر حمادة ، الأنثروبولوجيا والتنمية السكانية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 2012 .

36- مصطفى عمر حمادة ، الأنثروبولوجيا والضبط الاجتماعي . القانون – المجتمع – الثقافة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2012 .

37- ملفيك هيرسكوفينس ، الأنثروبولوجيا الثقافية ، ترجمة: محمد طلعت عيسى، دار النهضة العربية ، القاهرة، 1975 .

38- موريس أنجرس ، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية تدريبات عملية ، ترجمة : بوزيد صحراوي، كمال بوشرف وسعيد سبعون ، دار القصبة للنشر، الجزائر ، ط 2 ، 2006 .

39- ناصر إبراهيم ، الأنثروبولوجيا الثقافية (علم الإنسان الثقافي) ، عمان ، 1985.

40- نخبة من أساتذة قسم علم الاجتماع ، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، بدون سنة نشر.

41- نيقولا تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها ، ترجمة : محمود عودة ومحمد الجوهري ومحمد علي محمد والسيد محمد الحسيني ، دار المعارف ، مصر ، ط 6 ، 1980.

42- يحي مرسي عبد بدر ، أصول علم الإنسان الأنثروبولوجيا ، ج 1 ، دار الوفاء ، الاسكندرية ، ط1، 2007 .

ثانيا : المراجع باللغة الأجنبية :

1- Jean-Loïc Le Quellec, L'Anthropologie pour tous. : Actes du colloque d'Aubervilliers, Saint-Benoist-sur-Mer , 2015 .

2- Michael Wesch ,The Art of Being Human ,Manhattan, , New Prairie Press, Kansas State University Libraries Kansas, First Edition , 2018 .

3- Satish Kedia and John Van Willigen ,Applied Anthropology .Domains of Application,Library of Congress Cataloging- in- Publication Data U.S.A ,2005 .

4- philippe lucas et jean claude vatin: l'algeriedes anthropologues, maspéro, paris, 1982, P13